٦٢

مجلة
روايات أحلام

صرخة الياسمين

www.elromancia.com

مرمورية

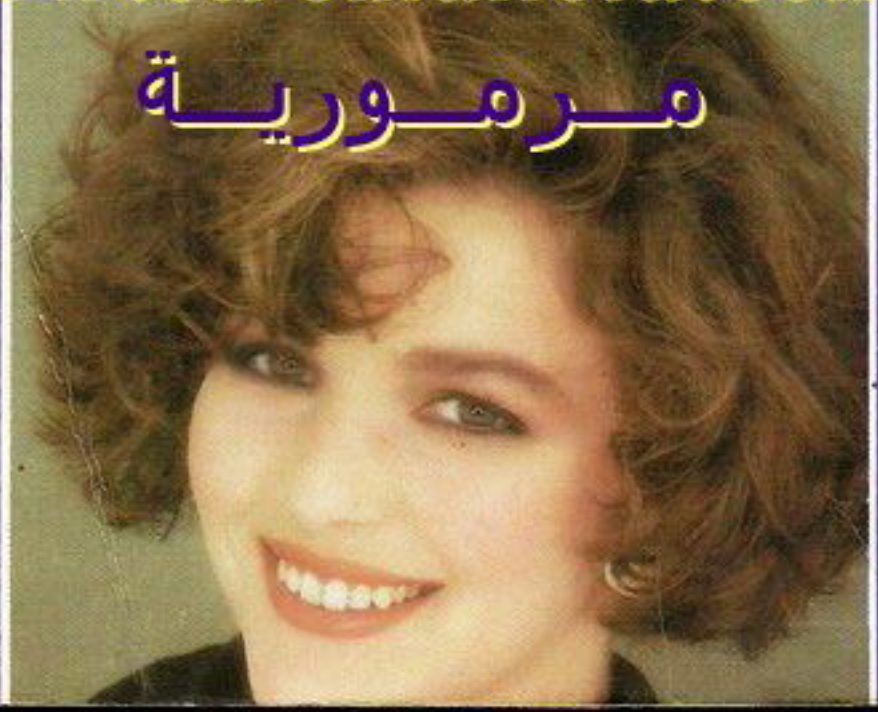

مجلة روايات أحلام

صرخة الياسمين

ماذا ترتدي المرأة عادة حين تنطلق في رحلة مع الرجل الذي تحبه سراً؟ اخيراً اختارت ثوباً بسيطاً ابيض اللون بدت فيه جميلة، صغيرة، عرضة للمخاطر.

هكذا كانت روث، فتاة ريفية طموحة جذبتها أهواء المدينة وأوقعتها في طريق وليام تومر، رجل الأعمال القاسي المستبد، الذي شقّ طريقه الى القمة بسحق كل من وقف في طريقه، تاركاً خلفه صفاً طويلاً من القلوب المحطمة.

على الرغم من اهتمامه بها، أدركت روث أنها لن تكون إلا اسماً آخر على لائحة ضحاياه، فهربت من خطر الإذلال في ليلة عاصفة، لتواجه خطراً آخر في ظلام الشارع...

لبنان ٢٠٠٠ ل.ل.	الإمارات ٦د.	مصر ٤ج.	ليبيا
سوريا ٥٠ ل.س.	قطر ٦٠٠ر.	المغرب ١٥د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ١.٥د.	السودان
الكويت ٥٠٠ف.	السعودية ٧ر.	عمان ٦٠٠ب.	العراق

١ ـ الإغماء

ـ حقاً آنسة...؟

ـ بارس.

سارعت روث ترد، وشعرها الكستنائي يتأرجح ناعماً على كتفيها وعيناها الخضراوان الجميلتان تظهران يأساً وتوسلاً لموظفة الاستقبال:

ـ أرجوك.. ألا يمكن على الأقل إجراء اختبار لي من أجل الوظيفة؟ أستطيع القيام بها.. أعرف انني قادرة.

ـ لقد شرحت لك الأمر آنسة بارس.. أرسلتك الوكالة خطأ.. ما زلتِ... ماذا؟

التقطت البطاقة الزرقاء المحتوية على معلومات تتعلق بروث.

ـ آه.. أجل.. أنت في الحادية والعشرين.. وصغيرة جداً على الوظيفة، فليس عندك من خبرة إلا عملك الثانوي الذي قمت به جزءاً من الوقت. إننا بحاجة إلى شخص أكبر سناً، بل نحن باختصار بحاجة إلى شخص عالي الكفاءة ومحترف لا إلى فتاة طرية العود، تظن أنها تعرف كل شيء، لمجرد تخرجها من الكلية.

أخذت روث بطاقتها الزرقاء ودستها في حقيبة يدها، ثم وقفت وعيناها الخضراوان تشعان تحدياً وإحباطاً، وقالت بجفاء:

ـ أصرّ على مقابلة المدير! أنا مؤهلة للعمل، ولي الحق بمقابلة

لائقة.

صاحت موظفة الاستقبال الشقراء:

ـ ستغادرين المكتب حالاً!

وقفت بخشونة، رافعة حاجبيها، أما عيناها الزرقاوان الباردتان فتحدتا روث أن تخالفا سلطتها. لكـن روث استقامت في جلستها، رافعة كتفيها ترد بهدوء:

ـ سأغادر المكتب، ، بعد.. أن يقابلني المدير.

شهقت موظفة الاستقبال من جرأتها وتمردها... كيف تجرؤ هذه الشابة الصغيرة على مكالمتها بهذه الطريقة؟

قاطعها صوت عميق النبرات متسائلاً:

ـ مشاكل هيلين؟

استدارت روث وإذا بها تواجه صاحب الصوت.. كان رجلاً طويلاً يزيد طوله عن الستة أقدام، يقف مستنداً إلى الباب بهدوء وراحة. جعلتها نظرة عينيه السوداوين المتسليتين تحكم أنه كان يسترق السمع إلى الحديث الذي دار بينها وبين المرأة الأخرى.

ثبت نظرته على روث فإذا عيناه المثقلتان بالأهداب تحاولان استظهار قسماتها كلها وهذا ما دفع اللون الأحمر الى وجنتيها...

كان رجلاً في غاية الوسامة، شعره أسود كثيف ممشط إلى الوراء بحيث يكشف عن جبهة عريضة وفمه مكتنز فيه ميل إلى إثارة فظة، وأنفه مستقيم وطويل. أما كتفاه فعريضتان تنحدران فتضيقان عند الخصر. كان بياض قميصه الناصع يزيد من اسمرار بشرته التي لوحتها أشعة الشمس. وكان يضع فوقه سترة رماها بلا مبالاة على كتف واحدة.

كان متطرفاً في وسامته، لا يشبه أبداً رجال الأعمال العظيمي الأكراش الذين قابلتهم أثناء بحثها عن عمل. وكان إلى ذلك رجلاً

واثقاً من نفسه ذا سلطة تظهره أكبر من سنه، التي لا تتجاوز الثانية والثلاثين.

عضت شفتها بارتباك لأنه ما زال يحدّق إليها، ولكنها لم تكن تعي أن ما من قدرة قد تنتزع عينيها عنه، أو عينيه عنها.

كسرت موظفة الاستقبال هيلين السحر صائحة:

ـ مشاكل، حقاً!

دارت حول مكتبها لتقف قرب روث، أما الرجل فدفع نفسه عن الباب وخطا خطوات واسعة إليها.. أردفت هيلين:

ـ أرسلت.. أرسلت إحدى الوكالات هذه الطفلة إنما كما أرى عن طريق الخطأ! شرحت لها أنه لا يمكننا استخدامها، إلا انها أصرّت أن نجري معها مقابلة.

ابتسم الرجل لروث، ابتسامة رقيقة حميمة غريبة، ردت اللون الأحمر الناعم الى بشرتها الرقيقة، وسأل:

ـ لماذا لا يمكننا استخدامها؟

إنه المدير دون شك فتبدل يأسها الى رجاء، وظنت أنها قد... مجرد «قد» تحصل على وظيفة في شركة توير للكمبيوترات اكبر مؤسسة لتصدير الكمبيوترات في سيدني.

ردّت على ابتسامة الرجل، تشجعه على الموافقة للحصول على مقابلة، تستطيع من خلالها إثبات قدرتها على القيام بالوظيفة. ضاقت عيناه لمرأى تلك الابتسامة، واختفت ابتسامته.

ردت موظفة الاستقبال:

ـ لأنها أولاً، صغيرة جداً... ولا خبرة سابقة لديها، فكيف تقوم بأعباء الوظيفة؟

نقل عينيه الى الموظفة:

ـ وما نوع الوظيفة التي نتكلم عنها؟

www.elromancia.com

ـ مديرة مكتب مشروعنا الجديد.

ضحكت هيلين وهي تظن أن الرجل سيحذو حذوها لسخافة الفكرة، ثم أضافت ساخرة، عندما لاحظت أن الرجل لم يتجاوب لضحكتها:

ـ إنها في الحادية والعشرين فقط وهي تتوقع ان تبدأ من القمة.

رد الرجل بتشدق:

ـ روح المبادرة شيء يثير الإعجاب هيلين.. ويدهشني أن لا تجدي هذا رائعاً.

التفت الى روث:

ـ تعالي الى مكتبي.

إذا كانت قاعة الاستقبال ذات الأثاث الأزرق والذهبي ممتازة فما القول عن مكتب الرجل الذي كان كاملاً؟ فالغرفة ضخمة، أحد جدرانها من زجاج يُطل على مناظر المدينة الصاخبة، وعلى البحر الممتد وكأنه سحر حريري أزرق، وكان جدار آخر مكتظاً برفوف من المجلدات والكتب ذات الغلاف الجلدي، أما الصور واللوحات الزيتية الثمينة فكانت تغطي جداراً آخر، وعلى الأرض فرشت سجادة عاجية اللون، قبع فوقها أثاث جلدي خمري اللون، أضفت عليه الإضاءة الخفيفة دفئاً حميماً ساعد على إبرازه جدار مكسو بخشب «التك».

وقفت روث داخل الباب فبدت طويلة، نحيلة، شعرها الأحمر متوهج تحت الأضواء الخافتة. جالت نظرته السوداء عليها ابتداء من أمواج شعرها اللامعة المحتضنة جيدها الرقيق وصولاً الى بذلتها العملية المرتبة البنية اللون، والتي تحدد حنايا جسدها الكاملة والتي يظهر تحتها ساقين مديدتين تنتعلان حذاء أنيقاً عالي الكعب، ثم عادت عيناه الى وجهها البيضاوي فشعرها المتأرجح فعينيها

الخضراوين الصافيتين المحاطتين بأهداب سوداء حريرية، واستقرتا أخيراً على الأنف الصغير والفم الناتيء الشفتين قليلاً.

أحست روث به يمعن النظر فيها، وكادت تشعر بدفء هاتين العينين السوداوين ولكن معرفتها هوية هذا الرجل بعثت اليها ارتباكاً. إنه ليس المدير، بل هو دون شك وليام توير شخصياً! وما سمعته عنه من قصص يكاد يدفعها للفرار منه.. إنه ثري، صاحب نفوذ، شق طريقه الى القمة بسحق كل من وقف في طريقه.. إنه قاس، لا رحمة في قلبه، رجل أعمال مستبد لامع... وهو الى ذلك فاسق، زير نساء، شبق، ترك وراءه صفاً طويلاً من القلوب المحطمة..

كانت تظنه وسيماً، كانت تبتسم غالباً لبعض تصريحاته المبالغ في عجرفتها. ولكن لا شيء مما تعرفه عنه هيأها لمقابلته شخصياً! لقد احست بجاذبيته البدائية ما إن وقع نظرها عليه، وأحست بالانجذاب اليه بدون تحفظ، ولعل أسوأ ما جرى أنها ابتسمت له، وشجعته بتهور! أو على الأقل هذا ما ظن انها فعلت. لا عجب إذن، أن يدعوها إلى مكتبه.. إنه يراها دون ريب امرأة تبحث عن مغامرة، متخذة العناد والتصميم على المقابلة عذراً لتلقاه.

حين التفتت اليه كانت وجنتاها متوردتين، وعيناها الخضراوان متحديتين الواقف امامها، قالت بصوت هادىء يثير الدهشة:

ـ أنت دون شك السيد توير لا المدير.

رفع حاجبيه برعب ساخر:

ـ يا الله.. لا!

ـ لكنني جئت لمقابلة المدير.

رد بنعومة وإنما بصوت متوتر:

ـ ألا أنفع أنا؟

www.elromancia.com

فتنها صوته كما حدث حين سمعته للمرة الأولى قبل قليل.. فهو أجش مثير، وكأنه صوت يستخدمه في غرفة النوم! ولكنه لن يرهبها به أو يؤثر فيها بفتنته.

هزت كتفيها بدون اكتراث وقالت:

ـ أنت مشغول طبعاً.

ـ ليس الى درجة ألا أقابل شابة جميلة صغيرة تريد العمل عندي.

يملك هذا الرجل كل شيء! حتى الغمازات على الخدين! أشاحت روث وجهها عنه، وكانت الطريقة الوحيدة التي فكرت بها لتحمي نفسها من سحره. أحست بيده على ذراعها فإذا اللمسة سائغة بشكل لا يمكنها إنكاره. أخذ يقودها الى أحد الكراسي الجلدية القابعة مقابل مكتبه الضخم، كان بإمكانها ان تتخلص من قبضته بتحفظ لكن من الأفضل أن تجعله يعتقد ان لمسته لم تؤثر فيها أبداً.

تمتمت بأدب قبل أن تجلس، ورأسها يكاد لا يبلغ حد كتفه:

ـ شكراً لك.

أحست بذراعها تبرد حينما أبعد يده عنها.. قال بعد أن جلس خلف طاولته:

ـ حسناً آنسة بارس..

علمت من استخدامه اسمها أنه كان يسترق السمع وهذا يعني أنه سمع توسلها لتوافق الموظفة على السماح لها بهذه المقابلة:

ـ .. إذن أنت تريدين هذه الوظيفة بالذات، تريدين ان تكوني مديرة مكتبي الجديد!

تلاقت عيونهما دون أن يرف لها جفن، كان شعرها الكستنائي مسترسلاً بنعومة على كتفيها، ردت بحزم:

ـ أجل.. لقد تخرجت برتبة شرف من معهد الكمبيوتر العالي.

مدت يدها الى حقيبتها ومررت له البطاقة الزرقاء التي تثبت تخرّجها. أمسك البطاقة بيده السمراء الكبيرة يمعن فيها النظر، أما هي فتظاهرت بقلة الاهتمام، مركزة نظرتها على سترة كان قد رماها على الطاولة.

قال بتشدق عندما أعطاها البطاقة:

ـ مؤثرة جداً.. ولكن النظريات صعبة عند التطبيق.

ـ تلقيت التطبيقات العملية سيد توير... في المعهد...

أعادت البطاقة الى حقيبتها، فقاطعها:

ـ في المعهد، تعلمت تحت إشراف أساتذة حيث من المتوقع أن يخطىء الطالب ولكن في نطاق عملي لا مجال لارتكاب الأغلاط. لذلك نصرّ على استخدام أشخاص من ذوي الخبرة... أشخاص تجاوزوا مرحلة الطفولة.

يا للقدر المتعجرف:

ـ لكنك قلت.. قلت إنك معجب بالمبادرة.

ـ فعلاً.. قلة من الناس يجرؤون على الوقوف في وجه هيلين وقفتك أنت!

أردف ضاحكاً:

ـ لكنني أراك خائبة الأمل بسبب الوظيفة وأنت أجدر من أن نخسرك وأذكى من أن نُرسلك الى موظف قد لا يقدرّك. كنت قد قررت استخدام مديرة مكتب وهذه المديرة ستحتاج الى مساعدة، فما رأيك بأن تكوني مساعدة مدير مكتبي الجديد؟

ثم ذكر لها راتباً خطف أنفاسها، لم تكن تتوقع ان تتقاضى شيئاً قد يصل الى هذا الحد قبل سنوات عدة. سألها حين لم ترد:

ـ حسناً.. ماذا تقولين؟ أتريدين الوظيفة أم لا؟

ـ أنا.. بحاجة إلى وقت للتفكير.

www.elromancia.com

كان واضحاً أنه اختلق الوظيفة خصيصاً لها. ولكن، ماذا يتوقع منها بالمقابل؟ لا يمكنها تجاهل سمعته مع النساء ولكن مكتبه الرئيسي هنا، ومشروعه الجديد في الناحية الأخرى من المدينة.. وهذا يعني أنه لن يزور ذاك الفرع إلا قليلاً وبالتالي لن تراه كثيراً.

ثم هناك أمر الراتب الذي حين ترسله الى موطنها سيساعد أمها على تربية شقيقيها: هال شاب ذكي ناجح سيتخرج عما قريب من الثانوية، ويستحق فرصة تخوله الدخول الى الجامعة وهذا الراتب سيساعده أيضاً. ثم تابع تفكيرها البحث بسرعة، رغم إدراكها نظرات السيد تـوير المنتظر ردها.. مع ذلك ترددت.. لم تكن معتادة على رجل مثله، فهي من بلدة ريفية فيها الرجال طيبون لطفاء! نعم هم هادئون الى حد الملل، ولكنهم طيبو القلب، لا يستغلون ابداً فتاة بريئة.. وهي بالفعل بريئة!

لم تكد في السنتين الماضيتين تتواعد مع رجل، كانت في الأعياد والعطلات تمضي أوقاتها في منزل ذويها تساعد أمها في أعمال المزرعة التي قتلت والدها في سنوات الجفاف والصعاب. بعد موت والدها وقع على كاهل أمها تربية العائلة من إيراد لا يعتبر شيئاً تقريباً.. وما كانت لتحصل على فرصة الدراسة في سيدني لولا المنحة الجامعية وهي منحة أصرت والدتها حتى قبلت بها.. والآن ها هي.. تتردد بشأن وظيفة تعدها بالكثير من المكافآت والسبب خوفها من الرجل الذي يقدمها لها! إنها خائفة من سحره ومن وسامة طلعته، بل خائفة من الطريقة التي ينظر فيها إليها وهي طريقة تجعل دماءها ساخنة في عروقها.. إنه رجل خطير ولكن ومن أجل عائلتها

سيكون ردها إيجاباً. تنحنحت لتنظف حنجرتها ثم لعقت شفتيها الجافتين، وردت بأدب:

ـ عرضك سخي جداً سيد توير.. أقبله و.. شكراً لك.

نظر إليها مفكراً:

ـ لا تبدين شخصاً يتوق إلى العمل عندي. لا أراك مسرورة بحصولك على الوظيفة... فما الأمر؟ ألم يكن الراتب كما تتوقعين؟

ردت بسرعة:

ـ اوه.. لا.. الراتب رائع.. حقاً.. الأمر.. انني..

غاب صوتها.. كيف تقول إنها لم تكن تتوقع أن تعمل معه مباشرة، وإنها كانت تعتقد أنه فقط رئيس مؤسسة كبيرة ثرية يجلس عالياً في برجه والناس يعملون عنده. سألها نافذ الصبر:

ـ نعم؟ أكنت تتساءلين ما إذا كنت قد تجاوزت حدك.. هه؟ ربما أنت خائفة مني.. أهذا ما أنت عليه؟

نظرت إليه بثبات:

ـ لست خائفة منك سيد توير، ولا أشك في أنني غير مؤهلة للوظيفة.. كنت فقط أتساءل.. هل حقاً أنت بحاجة الى مساعدة لمدير مكتبك؟

ضحك بعذوبة:

ـ في الواقع أنا لا أحتاج الى شيء، والأمر عائد لك لإثبات خطئي. سأوظفك الآن مدة ثلاثة أشهر كتجربة ولكنك أثناء هذه المدة ستجدينني رئيساً حازماً إنما في الوقت ذاته عادلاً لا أتحمل الغياب، وأتوقع من جميع موظفي أن يكسبوا كل سنت من رواتبهم

www.elromancia.com

بعرق جبينهم.

ـ طبعاً.. ولم أكن أعني...

تابع كلامه وكأنها لم تتكلم:

ـ لا تظني انني أقدم إليك معروفاً آنسة بارس.. أنا هنا أدير عملاً لا جمعية خيرية!

برقت عيناها الخضراوان غضباً:

ـ سأتذكر هذا سيد توير.. وأنا أقدّر لك تصرفك العملي مع موظفيك.

ـ عظيم!

ـ نعم.. مطمئنة أنا الآن لأنني عرفت انك لا تقدم المعروف لأحد، وأظن من المهم أن تفهم أنني مثلك.. لا أقدم معروفاً لأحد!

التوى فمه: «والمقصود؟».

هب من مكانه ثم تقدم اليها فتضرّجت وجنتا روث التي أشاحت بوجهها عنه، غاضبة من نفسها لتأثرها برجولته! هذا الرجل، هذا المتعجرف المغتر بنفسه، يحاول متعمداً إغواءها، إنها واثقة من هذا! ولكنه الرجل الذي منحها الوظيفة الرائعة التي ستعين عائلتها بما ستتقاضاه منها... ما إن تذكرت هذا حتى كبحت رداً حاداً تهادى الى شفتيها، وأجبرت نفسها على النظر إليه مبتسمة بتوتر:

ـ المقصود أنني أتفهم قصدك من وراء تجربتي مدة ثلاثة أشهر، لا يكون فيها أي تغيب، وأتفهم أنك لا تدير جمعية خيرية.

ضحك، فبرزت غمازتاه العميقتان.

ـ نسيت أن تذكري أنني رئيس صارم لكن عادل.

كان يجب ان تكون قد قدّت من حجر لتقاوم سحر ابتسامته،

وهي ليست من حجر! مال ثغرها قليلاً وهي ترد:

ـ ظننت هذا أمراً واقعاً دون الحاجة إلى ذكره أضف إلى أنك تتوقع أن يكسب موظفوك كل سنت مما يتقاضونه.

كانت تحس بأنفاسها تنقطع وكأنها تغرق في بحر ابتسامته، وأسنانه البيضاء اللامعة في وجه أسمر قاتم.. مد يده إلى يدها، يجذبها لتقف.. فتلامس جسماهما قليلاً قبل أن تتراجع إلى الوراء بارتباك.. ولكنها أحست بالمقعد وراء ساقيها تماماً. عندما اتسعت ابتسامته امام ارتباكها، انتزعت يدها منه وعيناها الخضراوان تحدّقان إليه.

ـ أظن أن المقابلة انتهت.

تنحت جانباً ثم مدت يدها إلى حقيبتها، فقال لها وهو يراها تضع حقيبة يدها تحت إبطها:

ـ هذا ما يبدو.. وعليّ أن أقول إنني تمتعت بهذه المقابلة.

استقامت روث في وقفتها، رافضة النظر إلى اهتمامه الواضح بها.. كانت قد تلقت التحذير في المعهد بشأن هذا، وتعلمت كيف تتعامل مع أمثاله ولكنها أدركت وهي تنظر إليه أن الدروس لم تكن تتضمن التعامل مع الفتنة القاتلة.

ـ متى أبدأ.. سيد توير؟

ـ يوم الاثنين.. أتعرفين أين المكتب؟

ـ أجل.. متى يوم الاثنين؟

ـ يبدأ دوامك من التاسعة إلى الخامسة، وسيُطلب إليك العمل أحياناً صباح السبت.. فهل سيؤثر هذا في نمط حياتك؟

نظرت إليه مذعورة مقطبة:

ـ ماذا تعني بهذا؟

ـ يعني أن الشاب الذي ستتواعدين معه، مضطر إلى إعادتك

باكراً مساء الجمعة لتستطيعي الاستيقاظ باكراً يوم السبت.. فأنا أتوقع من موظفيّ أن يكونوا يقظين نشيطين حين يصلون إلى العمل.

تمتمت تتساءل ما إذا كان القانون نفسه ينطبق عليه:

ـ أنا واثقة أنك تتوقع هذا سيد توير.. لكن لا تقلق بشأني فلا وقت أصرفه على المواعيد.

ارتفع حاجباه الأسودان بهزء:

ـ هل هذا صحيح؟

لم يصدقها على ما يبدو وهذا ما أغضبها:

ـ اجل.. صحيح! لسنا جميعاً منكبّات على قضاء أوقات ممتعة فبعض الناس يحب تمضية الوقت في ما هو مفيد.

ـ وبالطبع أنت واحدة من أولئك! أخبريني إذن آنسة بارس.. كيف تقضين وقت فراغك؟

ردت ببساطة دون أن تبالي برأيه:

ـ أدرس.. في الجامعة.. ثلاث ليال في الأسبوع. أدرس المحاسبة.

تمتعت بنظرة الاستغراب المطلة في عينيه.. سيعلم الآن أن لا وقت لدي للتفاهات!

لكنه تابع يسأل بعفوية:

ـ وماذا تفعلين في الليالي الأربع الأخرى؟.. لا.. دعيني أتكهن.. أنت تدرسين منكبة على الأرقام والملاحظات.. صح؟

ـ صح.

هزت رأسها الكستنائي الشعر لتؤكد كلامها، فاستقرت عيناه على وجهها بطريقة مثيرة للأعصاب ولكنه لم يلبث أن ارتد عنها وعاد الى كرسيه الفاخر.. ثم قال بتشدق:

ـ كنت ستغادرين المكتب آنسة بارس؟

امتقع وجهها من طريقته الفظة في صرفها فجأة فردت باقتضاب: «أجل» ثم أسرعت في التوجه إلى الباب الضخم ولكن ما إن وصلت إليه حتى أوقفها صوته:

ـ آنسة بارس!

التفتت إليه وهي واثقة من إقباله على سحب عرض الوظيفة، ومن عزمه على القول لها إنه لا يحتاج فعلاً إلى مساعدة مديرة في مشروعه الجديد وإنه لا يحتاج إليها!

واجهته وهي تكاد لا تقوى على الهمس:

ـ نعم؟

ـ الآن وبعدما أصبحت في عداد موظفيّ، سأناديك روث، أما اسمي فوليام ولك أن تناديني به إذا شئت.

هزت رأسها:

ـ لا.. شكراً لك. لن أشعر بالراحة إذا ناديت رئيسي باسمه الأول.. ولكن شكراً لك على أي حال.

ابتسمت له فشعّت قسمات وجهها كلها.

عندما أصبحت في الشارع المزدحم التفتت إلى واجهة مبنى توير للكمبيوترات، كما فعلت تماماً منذ ساعة، ولكنها في هذه المرة كانت تنظر إلى البرج الزجاجي الحديث وهي تحس بالبهجة بدل اليأس.. لقد تخطت صفوف العاطلين عن العمل، ووجدت وظيفة وهي ليست أية وظيفة. لم تستطع إلا أن تهنىء نفسها.. فالآن أصبح لها لقباً، وراتباً يليق باللقب. إنها الآن: روث بارس، مساعدة مديرة مكتب!

اتصلت بأمها عبر هاتف الأجرة في الممر الموصل الى غرفتها التي كانت محظوظة بالاحتفاظ بها أثناء عطلة الصيف. عمّ قلب أمها الفرح عندما سمعت الخبر وكذلك كان حال أختها الصغرى. أخيراً

www.elromancia.com

سألت روث:

- كيف الأحوال أمي؟ لم أتكلم مع هال.. أليس في المنزل؟

- هال، يساعد السيد باين في جمع غلة التبن.. ونعم.. كل شيء على ما يرام هنا.. لا أريد أن تقلقي علينا.. أمامك عملك تفكرين فيه الآن.

ابتسمت روث.. فأمها مصممة على أن يحصل أولادها على فرصتهم في الحياة وترفض أن تحدّ من انطلاقتهم بالمشاكل العائلية.. قالت بعذوبة:

- أمي.. أنا ناضجة الآن.. تذكري هذا!! أعرف أن ليس كل شيء على ما يرام. هل يتلقى هال أجرة لقاء مساعدة باين في جمع التبن؟

- سيتقاضى شيئاً حين ينتهي فهذا ما يفعله دائماً.

عبست روث لأنها تعرف أن السيد باين رغم ثرائه بخيل وخسيس حين يتعلق الأمر بدفع أجرة من يقدّم له الخدمات وهال سيكون محظوظاً إن تقاضى شيئاً! فالسيد باين يعتقد أن الناس إنما يساعدونه من باب الطيبة. غيرت روث الموضوع:

- وماذا عن كارولين أمي؟ هل سيتمكن الطبيب من إصلاح أسنانها؟

كانت كارولين قد كسرت سنين من أسنانها الأمامية العليا عندما كانت تلعب لعبة الهوكي، تنهدت الأم:

- أنا لم أستطع اصطحابها إلى الطبيب بعد عزيزتي.. كانت الأمور مضنية مؤخراً.

عضت روث على شفتها.. ليس مع الأم ما يكفي من مال لإصلاح أسنان كارولين. ستكره شقيقتها البالغة من العمر الخامسة عشرة الابتسام ونصف أسنانها الأمامية مفقود. وشكراً لله على

وظيفتها الرائعة التي ستمكّن أختها من تتويج أسنانها.

- قولي لها أن تصبر قليلاً أمي.. سأتمكن من إرسال المال لكم بشكل دائم.

- هذا رائع عزيزتي.. ولكنني أعتقد أنك لن تجدي مالاً وفيراً لتسددي أجرة السكن والطعام، والمصاريف الأخرى.

أحست روث بالشوق إلى منزلها بعد محادثتها مع العائلة. أمها على حق. إنها تدفع مبلغاً ضئيلاً أجرة لغرفتها في الكلية، وتتلقى وجبتان من الطعام يومياً.. لكن ما إن تجد لنفسها شقة، وهذا ما يجب أن تفعله لاحقاً حتى تزداد نفقاتها.

ولكنها كانت كلها أمل في الاستمرار بالاشتياق إلى وطنها.. وكلما أمعنت التفكير وجدت نفسها أكثر انفعالاً.

بحثت عن شقة ووجدتها في منطقة وسطى بين الجامعة ومركز عملها. كانت الشقة في مبنى جديد تقريباً، منيرة، نظيفة، ولها غرفتا نوم، وهذا يعني أن باستطاعة أمها أو أحد أخويها المجيء والبقاء هنا فترة، فالشقة مفروشة جزئياً، فيها سريران صغيران وأريكة صغيرة وطاولة قهوة، إضافة إلى طاولتين صغيرتين عليهما مصباحان. هذا عدا طاولة المطبخ وهذه دون شك تكفي الآن وهي فخورة بمنزلها الجديد.

يوم الأحد قررت أن تستقل باصاً لتعرّف نفسها الى الطريق المؤدي إلى المشروع، وما يحيط به، كان المبنى على بعد خمس دقائق سيراً من محطة الباصات يقع وسط حدائق غناء ومناظر طبيعية جميلة، تحيط به الشجيرات الصغيرة والأشجار الطويلة المغروسة حديثاً. كان المبنى عريضاً ومنخفضاً، أبيض اللون، نوافذه ضخمة، وأمام المبنى الضخم عارضة كبيرة تحمل كلمات: تنوير للكمبيوترات.. معرض البيع والمصنع.

www.elromancia.com

وقفت روث تنظر الى اللوحة عدة دقائق ووجهها يطفح غبطة ثم ودّت لو تستطيع الدخول ولكن المكان مقفل، وهو مجهز بكافة أنواع الإنذارات المعقدة الحديثة. ومع ذلك لا بأس بالنظر من النوافذ، فربما تستطيع رؤية مكتبها وما عليه شكله.

لفت روث أكمام قميصها الغارق تحت بنطلون جينز، وتقدمت بفضول وحذر لتنظر من الواجهات الأمامية فكان أول ما طالعها ردهة استقبال فيها كراسي خضراء وعاجية وحولها عدة مكاتب.. كل مكتب يختلف قليلاً عن الآخر ولكنها جميعاً معدة بمعدات حديثة فحارت أياً منها مكتبها!

دارت حول المبنى فوصلت أخيراً إلى فناء المبنى الخلفي. ولكن صوتاً من الداخل أوقفها فتسمرت مكانها بلا حراك. وحينما لم تسمع آخر ظنت أن الأمر وليد مخيلتها. فسارت حتى وصلت إلى أبواب مخزن كبيرة.. كان أحدها مرفوعاً، وسمعت صوتاً من الداخل صوتاً صاحبه يتحرك ويتنقل فدلفت إلى الداخل، وهي عاجزة عن مقاومة إغراء رؤية قلب مكان عملها.

كان في هذه المخازن صناديق ضخمة وعلب مرصوصة.. بعد ذلك وصلت إلى قسم التعبئة فإذا صفوف وراء صفوف من المكاتب والمقاعد.. فجأة سمعت صرير الباب وهو ينغلق بقوة فقفز قلبها وقد أدركت خطورة المخاطرة التي ركبتها في دخولها إلى هنا.. ارتدّت على الفور، تتراجع بصمت من حيث أتت.. أصبحت المخازن الآن مظلمة والأبواب الجرّارة مقفلة.. كادت لا تستطيع معرفة أين تتوجه فسارت معتمدة على ذاكرتها أكثر من اعتمادها على بصرها.

امتدت يدان قويتان أمسكتا بها وقيدتاها إلى الخلف بخشونة، قبل أن ترمياها بقوة على أحد الصناديق الخشبية.. ماتت صيحة

رعب في حنجرتها وهي تحدق إلى جسد عملاق، جسده ووجهه في ظلام دامس ولكنها استطاعت رؤية عينيه، إنهما تلمعان شراً وكان أن أصاب روث ما يصيب فتاة شابة في موقف مماثل: الإغماء.

* * *

www.elromancia.com

٢ ـ الحمقاء الصغيرة

ـ أيتها الحمقاء! كان يجب أن أجلدك!

رفرفت روث عينيها فإذا أمامها وليام توير.. كانت ممددة على مقعد طويل، وكيس ثلج على رأسها. قالت بوهن وهي تحاول الجلوس:

ـ أنا.. فقدت الوعي دون شك.

لكنه دفعها بخشونة لتعود إلى الوسائد الموضوعة خلفها... فحاولت الابتسام:

ـ ظننت.. حسبتك لصاً!

صاح بغضب:

ـ وماذا تظنين أنني حسبتك؟

انتزع كيس الثلج عن رأسها، وتحسس الكدمة في مؤخرة رأسها.. كانت يداه رقيقتين إذا ما قورنتا بصوته.. وقف ينظر إليها، ووجهه أسود كالكنزة التي يرتديها تقريباً، وساقاه منفرجان أما وقفته فتهدد بالشر، فقد انقبضت يداه بشدة.

ـ أنت محظوظة ببقائك حية!

اتسعت عيناها، ورطبت شفتيها:

ـ أكنت ستطلق النار علي؟ أكنت ستفعل؟

ـ أنت تستحقين ذلك! ماذا تفعلين هنا؟ تتجسسين؟

التمعت وجنتاها احمراراً:

ـ بالطبع لا! ما هذا الاتهام الرهيب؟

ـ وما هذا العمل الرهيب الذي قمت به؟

مد يده ليتناول كيس الثلج البلاستيكي الذي رماه الى مقعد خشبي قرب نافذة مركز الدراسات... يحصل موظفو وليام توير وحدهم على أفضل الخدمات. هذا ما بدأت تدركه.. قال لها:

ـ حسناً؟ ما عذر طوافك خلسة في المشروع؟

جلست: «أعتقد أنني مدينة لك بتفسير».

قاطعها، يرفع صوته الأجش:

ـ أنت على حق.. ومن الأفضل أن يكون التفسير منطقياً!

ـ حسناً.. إذا توقفت عن الصراخ في وجهي، وأعطيتني الفرصة...

هدر:

ـ صراخ؟ يا إلهي يا امرأة.. أتدركين ماذا فعلت؟ وماذا كان يمكن أن تكون النتائج؟ حين يكون هناك ما قيمته عدة ملايين من الدولارات في مكان كهذا، فهل يستطيع المرء أن يقف لطرح الأسئلة وهو يرى شركته عرضة للسرقة!

ـ لكنني امرأة! فهل تشكل امرأة تهديداً لك؟

ـ ظننتك وأنت بهذه الثياب رجلاً.. لم أشعر بخطئي إلا حين لمستك..

علت وجهه ابتسامة خفيفة ما لبثت أن اختفت ليعتلي الغضب الأسود وجهه من جديد:

ـ حسناً؟ ماذا تنتظرين؟ لماذا أنت هنا؟

أسند جسده إلى المقعد قرب النافذة وعقد ذراعيه على صدره. كان شعره الأسود الكثيف منسدلاً إلى جبينه.

www.elromancia.com

هزت روث كتفيها، وقالت ببساطة:

- أردت رؤية المكان.

- أردت رؤية المكان؟ ألم تستطيعي الانتظار حتى الغد؟

- طبعاً كان يمكنني ذلك، ولكنني أردت أن أجرّب كم من الوقت سيستغرق الوصول إلى هنا، وكم يجب أن أسير من المحطة لأصل إلى المبنى.. فأنا أحب التنظيم سيد توير.

أنهت كلامها متنهدة ثم غطت أهدابها السوداء الحريرية اخضرار عينيها الباردتين... فسألها بسرعة، عندما وضعت يدها النحيلة على رأسها:

- هل أنت بخير؟

ركع قربها، يملس خصلات انسلت من ضفيرتها، فأعادها إلى ما وراء أذنيها الجميلتين... فتأوهت:

- بماذا ضربتني؟ بكتلة حديدية؟

قال مستنكراً: «لم أضربك بشيء!».

- لا؟ إذن، من أين هذه الكدمة الكبيرة في مؤخرة رأسي؟

تحسسها:

- إنها ليست كبيرة، وتكاد تختفي، لقد صدمت رأسك بأحد الصناديق حين أمسكتك.

- أمسكتني ثم دفعتني.. هل ظننتني لصاً حقاً؟

لمعت عيناها سخرية وهي تسأل فرد بحدة:

- لا أظن الأمر مضحكاً!

وقف فجأة وجسده متشنج متوتر، فعبست روث:

- لم أكن أضحك.. بالله عليك، ألا يمكن أن ننسى الأمر؟ لقد انتهى، وعدا هذه الكدمة على الرأس لم أصب بضرر.

قال بصوت أجش: «بل ربما تضررت أكثر مما تدركين».

ذعرت فقد أحست للمرة الأولى بالخطر الحقيقي. ابتلعت ريقها:

- لكنك قلت... قلت إنني سأكون بخير، وإن الكدمة صغيرة وتكاد تختفي.

مررت يدها على شعرها المنسدل، وكانت حركة بريئة.. لماذا ينظر إليها هكذا؟

- ستكونين بخير.. ما كان يجب أن تأتي إلى هنا اليوم.. إنها غلطة.. بل غلطة كبيرة!

تمتمت متلعثمة: «قلت إنني آسفة».

مرر يده في شعره:

- لم أقصد هذا! كما أنك لم تقولي إنك آسفة.

أنزلت ساقيها المديدتين عن الأريكة وهبت واقفة على قدمين مرتجفتين.

- لكنني آسفة.

أسرع يمسك بمرفقها فحفرت أصابعه في لحمها الغض إلى حد الألم. نظرت نظرة ذات مغزى إلى يده:

- أستطيع الاعتماد على نفسي.. شكراً لك.

ابتسم، وأنزل يده.. فنظرت إلى ما حولها وهي تشعر شعور من علق في الفخ، تريد أن تغادر ولكن شجاعتها خانتها، وكأنما تمسك بها قوة غريبة غير مرئية.. هذا أمر سخيف.. فلا شيء هنا.. سواها وسواه فقط! ولكنه لا يحتجزها هنا.. بل لم يكد يلمسها. إن سبب إحساسها هذا هو الكدمة على رأسها.. مدت يدها تتحسسها لتطمئن نفسها إلى وجودها، ربما تعاني من ارتجاج..

التفتت إليه تواجهه مجبرة نفسها على التقاط أنفاس عميقة متساوية. كان صدرها يعلو ويهبط بلطف تحت قميصها القطني

www.elromancia.com

الأخضر.. فقال لها بصوت منخفض:

- أنت جميلة جداً.

مد يده يلامس خدها بظاهر يده.. فدفعتها عنها ثم ابتعدت عنه وعيناها الخضراوان تومضان. وقالت بحدة:

- إذا كان لا بدَّ من علاقة عمل بيني وبينك سيد توير.. فعلينا أن نجعل اهتمامنا ببعضنا بعضاً مهنياً صرفاً.

لمعت عيناه السوداوان بخطورة.

- صدقيني.. اهتمامي بك مهني!

عضت شفتها ارتباكاً:

- أنا لست معروضة للقطاف، أظن أن هذا هو التعبير المستخدم عادة.

ضحك: «لكن، لن يضيرك أن تلاطفي رئيسك؟».

- الطريقة الوحيدة لملاطفتك سيد توير، هي العمل بجد في وظيفتي!

- إذا ناديتني سيد توير مرة أخرى ضربتك!

- أتلجأ دائماً إلى التهديد حين لا تحصل على مرامك.. سيد توير؟

أمسك ذراعها، يجذبها إليه وعيناه السوداوان تحدقان فلمّا نظرت إليهما ارتجفت وراح قلبها يخفق بين أضلعها.. قال لها بنعومة وهو يجذبها إليه أكثر فأكثر حتى لامس صدرها صدره:

- اعتمدي على أمر واحد آنسة بارس.. ألا وهو أنني أحصل دائماً على مرامي.

ردت بجرأة:

- أجل.. سمعت هذا عنك.. أخبرني سيد توير، هل تطرد النساء من العمل إذا رفضن إعطاءك ما تريد؟

ابتسم لها ابتسامة اخترقت برودتها حتى العظام. ولكنها رغم ذلك بقيت ثابتة أمامه، ترفض أن يرهبها هذا الرجل، ولم ترفّ لها عين بل كانت نظرتها إليه نظرة باردة بمقدار ما كانت نظرته حارة.. ثم قال بحدة:

- لم يسبق أن رُفضت بل العكس هو الصحيح.

- حسناً.. إنها المرة الأولى إذن.. لا عجب أن تشعر بالسوء.

عبقت رائحة رجولته في خياشيمها فاضطربت.. «يا إلهي إن لم يتركني بسرعة، خذلني جسدي.. وإن أدرك انجذابي إليه، فلن يوقفه شيء».

نظرت بتحد إلى عينيه، وجسدها متوتر.. فقال:

- يمكنني أخذ ما أريده منك الآن...

- كيف تجرؤ على أن تقول لي ذلك؟

استرخت قبضته، فاستطاعت التنفس بسهولة... قال لها ويداه تتسللان إلى ذراعيها مرسلتين إلى جسدها القشعريرة:

- أنا مستعد لإعطائك الوقت الكافي للتكيّف مع الفكرة.. لأنني سأفعل ما أقول!

شهقت:

- حتى ضد إرادتي؟ هل.. هل ستعتدي عليّ!

- لا داعي للاعتداء.. سأعرف تماماً متى تكونين على أهبة الاستعداد.

صاحت غاضبة:

- لن يحدث أبداً، أنت تهدر وقتك سدى. لذا اختر امرأة أخرى.

- لكنني اخترتك.. ويجب أن تغتري بنفسك فالكثيرات سيحسدنك.

www.elromancia.com

- يا إلهي ما أشدّ اغترارك بنفسك! لن أهتم أبداً بما قد تظهره لي من اهتمام! كم أتمنى لو أن هناك وظائف شاغرة.. لأنني عندها لن أحب شيئاً أكثر من القول لك إنني لا أريد وظيفتك!

كانت ترتجف سخطاً وكانت عيناها تشعان احتقاراً، وضفيرتها البنية الحمراء المتدلية فوق كتف واحدة تنسل منها خصلات صغيرة التصقت بفعل الرطوبة بوجنتيها المتوردتين. مد يده يمسك الضفيرة ليشدّها بلطف نحوه، وقال بتشدق والابتسامة تعلو شفتيه:

- بثيرني مرآك غاضبة هكذا، فهذا يعني أنك ترغبين فيّ.

شهقت: «لا».

- بلى!

وأحنى رأسه حتى أصبح أكثر من قريب من وجهها وهو بذلك يهدف إلى إغوائها.

- لن تتمكني من الاختباء عني روث.. افتحي عينيك وتوقفي عن تصرفات الأطفال. افتحيهما وإلا عانقتك.. وعندها لن أتوقف عند هذا الحد.. أؤكد لك!

فتحتهما على مضض، تنظر إليه بتحد:

- تهددني.. أهذا كل ما تستطيع فعله.. تهددني!

رفع حاجبيه ساخراً:

- أوافقك الرأي، ربما تريدين عملاً، لا تهديداً. وربما تتمتعين بلعب دور صعبة المنال..

قاطعته وهي تدفعه عنها إنما بدون جدوى:

- أنا! أنت من يمثل الدور الصعب.. لا أريد إلا أن أذهب إلى البيت.. أرجوك.. إن تركتني الآن أعدك بأن أنسى ما حدث وأعدك بألا أمسكه ضدك..

أخرستها ضحكته العميقة، ولما أدركت أنه يضحك عليها

اشتعل الغضب في داخلها شعلة بيضاء مستعرة.

أوه.. ما أبغضه! إنه لا يطاق! أرجعت قدمها إلى الوراء وركلت عظم ساقه.. فماتت الضحكة في حنجرته ولمعت الدهشة في عينيه.. فترك ضفيرتها، وهذا ما كانت تقصده، ولكن لسبب مجهول لم تهرب منه. بل وقفت ثابتة تبتسم على الغضب المستعر في عينيه، وتتمتع بانتصارها الصغير، ثم قالت ساخرة:

- أووه.. آسفة سيد توير.. لقد انزلقت قدمي.. أنا لست عدائية عادة، ولكنك نظراً للظروف، ستتفهم.

رمى أمام دهشتها رأسه الأسود إلى الوراء ورعدت ضحكة عالية من فمه.. أما هي فوقفت مذهولة. فلم يكن هذا هو رد الفعل الذي توقعته. ولكنها مع ذلك تحس بالراحة.. فقد بدا لها أن ضحكته أزالت التوتر بينهما.

أخيراً، وضع يديه على كتفيها هازاً رأسه:

- ما من أحد، امرأة أو رجل، تجرّأ على الوقوف في وجهي.. وهذه تجربة جديدة لست واثقاً إن كانت تعجبني ولكنها على الأقل تثير اهتمامي بشكل متطرف!

نظرت روث إليه قلقة.. ماذا ينوي الآن؟ رفضت أن تعترف أن ابتسامته الفاتنة المدمرة راحت تؤثر في أعصابها. مرر ذراعه خلف كتفيها، فانتفضت مذعورة! قال لها بعذوبة مبتسماً:

- استرخي... تفكيري الآن منصب على العمل فقط.. ما رأيك بمشاهدة مكتبك؟

ابتسمت بسعادة:

- هذا كلام معقول.. أحب كثيراً أن أراه.

تسللت ببراعة من تحت ذراعه فأخذ يشرح ضاحكاً، وهو يفتح الباب، ويشرح لها ما وظيفة كل مساحة في المبنى وما كان هذا

www.elromancia.com

المبنى قبل سنوات.

ـ بدأت عملي في سفيقة من ألواح التنك خلف محل مجوهرات.. كان العامل عندي أكبر سناً مني وهو الآن مدير فرع الجنوب.. وكانت هيلين تأتي مرتين في الأسبوع لتقوم بطباعة الرسائل وبترتيب الملفات..

رفعت روث نظرها إليه فرأت في عينيه نظرة بعيدة وتساءلت عما إذا كان يحن إلى الأيام الخوالي حين كانت حياته دون شك أسهل، ولكن النظرة تلاشت بسرعة كما ظهرت، وحلّت محلها قسوة حارقة، شكت أن تكون السبب في إيصاله إلى مثل هذا النجاح الباهر.

ـ والآن.. إلى مكتبك.

اقتادها عبر ممر طويل، ثم فتح باباً:

ـ هل يعجبك؟

مكتبها الخاص! نظرت بسعادة حولها.. كانت قد تساءلت أي من المكاتب لها، وعندما عرفته أخيراً وجدته أفضل منها جميعاً.

ـ إنه جميل!

أسند نفسه إلى الباب، ووقف يتمتع بما يرى على وجهها من سعادة أثناء تنقلها في الغرفة. كانت الجدران مطلية بلون عاجي فاتح، والسجاد وخزانة الملفات مطليين بلون نحاسي، أما طاولتها فبرتقالية، وللكرسي القابع خلفها اللون ذاته، كان لها هاتف أبيض خاص بها وجهاز تلفزيون صغير، مررت أصابعها على المفاتيح ونظرت إليه متسائلة، فضحك وتقدم منها ليضغط زراً ما إن ضغط عليه حتى برزت صورة المشروع على الشاشة، منطقة التجميع

والتخزين، وعندما كبس على زر آخر ظهر مركز الدراسات.

ـ حينما تضغطين على هذا الزر، يمكنك التحدث إلى من ترغبين في كل من هذه الغرف. لنفترض أنك تريدين معرفة شيء من مدير العمال، لكنك ترين على الشاشة أنه مشغول، بعيداً عن الهاتف.. بدلاً من إزعاجه، إذا لم يكن الأمر مهماً.. انتظريه حتى ينهي عمله أو انظري إلى أقرب هاتف إليه لتتصلي به، إن هذا يوفر الكثير من الوقت.

ـ هذا صحيح.. ولكنه أيضاً نوع من نظام التجسس فلا ريب أن الموظفين يشعرون دائماً بأن «الأخ الكبير» يراقبهم!

هز كتفيه:

ـ أشك في هذا.. لقد نجح هذا النظام في مواضع أخرى. والموظفون ممتنون له.. أضيفي إلى ذلك مكافآتهم التي يتقاضونها زيادة.. لذلك ترين أن الوقت الإضافي الذي يعملون فيه يعني المال في جيوبهم.. وأنا لا أريد بكل تأكيد أن تجلسي هنا طوال النهار لمراقبتهم! فسيكون لديك أعمال أخرى.

احمرّ وجه روث:

ـ طبعاً! لم أكن أعني نفسي! بل عنيتك أنت!

ـ أنت ترغبين حقاً في أخذ أسوأ نظرة ممكنة عني؟

ابتسم ساخراً، وأخذت عيناه تمران على جسدها النحيل، فتوقفتا هنيهة على حناياها الجميلة ثم انتقلتا إلى الأسفل.. كانت تعلم أنه يتعمد إثارة أعصابها، فأجبرت نفسها على البقاء هادئة، تتظاهر بأنها لم تلاحظ أن نظرته تعريها.. واتكأت إلى الطاولة، ويداها مستريحتان على الجانبين تنظر إليها ساخرة:

ـ أنا لا أرغب في رؤيتك أبداً.

www.elromancia.com

تحركت بسرعة عن الطاولة نحو النافذة، فانخفضت سرعة نبضات قلبها بعدما أصبحت على مأمن منه.. أبعدت الستائر العاجية الجميلة ونظرت إلى الخارج، إلى حيث الحدائق والمناظر البهية لتأخذ وقتاً تستطيع فيه استعادة رباطة جأشها.

كانت تفكر: إنه رئيسي.. ومهما كرهته، عليَّ أن أكون على وفاق معه.. لقد منحني هذه الوظيفة، ولن أترك له فرصة انتزاعها مني بسهولة.. يجب أن أجبر نفسي على أن أكون ألطف وأظرف معه، فأتصرف تصرف موظفة لا تصرف الند المهاجم الذي تلعبه الآن. عليها ذلك على الأقل من أجل عائلتها.

التفتت إليه تواجهه ولكنها لما طالعتها طلته البهية وهو واقف قرب مكتبها علقت أنفاسها في حنجرتها.

ـ هذه الستائر جميلة. إنها تسمح للنور الطبيعي بالدخول.. ولكنها أيضاً تمنع الشمس.. كان يجب أن ترى بعض الأماكن التي قصدتها طلباً لوظيفة.. كان بعضها مرعباً.. لكن هذا رائع حقاً! هل اخترت الأثاث بنفسك؟

دفع وليام نفسه عن المكتب وتقدم إليها فانتزع قماش الستائر من يدها وقال بحدة:

ـ أنت تحاولين التعالي علي.. لم أختر هذا ولا أظنه رائعاً. إنه قماش عادي يستخدم في معظم المكاتب.. وهو بسيط وفعال.

تمتمت، وهي كارهة نظرة السخرية المطلة من عينيه:

ـ لا أظنه قماشاً بسيطاً.

وضع راحة يده على وجنتها الملتهبة:

ـ لا.. فأنت تظنينه جميلاً.. لقد عانيت كثيراً لتقنعيني بهذا.. أنت تحاولين إرضاء رئيسك!

أبعدت روث يده وقالت بتمرد:

ـ كنت أحاول فقط أن أكون معك على وفاق.

ضحك بنعومة وعيناه تنظران في عينيها الخضراوين الناريتين:

ـ لا تعتقدي أن عليك أن تكوني لطيفة معي، لتحتفظي بعملك. لقد استخدمتك لميزاتك، وهذا ما أفعله مع أي موظف واعلمي أنك باقية في العمل ما دمت ناجحة. يصعب إيجاد الموظف الكفؤ الجيد، ولكنني معك أراني وجدت الأفضل!

احمرت وجنتاها مجدداً إنما بسعادة. كانت ابتسامتها مشرقة وهي ترد:

ـ شكراً لك سيد توير.. أنا بحاجة حقاً إلى ما أسمع.

ـ ها قد عدت لمناداتي بالسيد توير مجدداً.

تنهد حزناً، فاضطرت للضحك مسرورة فهي تعلم أنه لم ينزعج حقاً.. قالت:

ـ لا أصدق أن هذا كله لي.. كل شيء حديث وجميل.. أتمنى فقط لو تراه عائلتي.

ـ بمقدور عائلتك المجيء متى شاءت فلا أمانع.

تنهدت، وأخذت الابتسامة تتلاشى ببطء عن وجهها ثم تلبدت عيناها الجميلتان بغيوم اليأس.

ـ لن يستطيعوا هذا. إنهم يسكنون بعيداً.

ابتسم لها قبل أن يعود إلى وضع ذراعه حول كتفيها:

ـ هيا بنا.. إن كنت لا تريدين رؤية شيء آخر، سأغلق الأبواب ونخرج من هنا. سأقلك إلى منزلك.

ـ اوه.. لا! لا أريد أن تهدر وقتك علي أكثر من هذا.

ـ كلام سخيف.. انتظري هنا ريثما أقفل الأبواب.. لن أتأخر.

ـ لا.. أرجوك.. سيد توير.. أفضل ركوب الباص.. أريد أن

www.elromancia.com

أعرف إن كان يتبع الطريق ذاتها في العودة.

وقف ويده على مقبض الباب، يمعن النظر فيها بصمت، ثم قال:

ـ تعرفين هذا غداً. أما الآن فسأقلك إلى منزلك لأنني أراك تعبة.

عندما فتح الباب علمت روث أن لا فائدة من مجادلته.. كما أن من الغباء وسوء التدبير رفض هذا العرض خاصة وهي تعبة حقاً. يا لدقة ملاحظته! يا له من رجل!

قطعت الغرفة لتنضم إليه عند الباب:

ـ حسن جداً.. أشكرك. إنما لا داعي إلى العودة من أجلي. سأرافقك فلا شك أن سيارتك متوقفة في الخارج.

تركها تمر:

ـ هذا صحيح.. هل أنت متوترة بخصوص الغد؟

ـ قليلاً.. إنما يجب ألا أكون متوترة. على أي حال، أنا مدربة جيداً.

ـ آه.. صحيح.. أنت تحملين إجازة جامعية من معهد الكمبيوتر العالي.

ـ أتصور أن لديك درجة علمية عالية.

هز كتفيه: «نعم لدي طبعاً».

توقف أمام باب فتحه:

ـ هذا مكتب المدير الذي لا يبعد عنك كثيراً، ولكن المسافة الفاصلة «آمنة»..

عبست روث وشعرت بالقشعريرة تجتاح جسدها:

ـ ماذا تعني بقولك هذا؟

ـ أوه.. يكون المديرون عادة سيئي المزاج مع مساعديهم.

ـ وتظن.. أنه سيكون معي سيء المزاج.

ـ لا.. بل أعتقد أنك قادرة على التعاطي مع أية صعوبات قد تبرز في طريقك.

سحبت نفساً عميقاً، ثم نفساً آخر:

ـ أنا واثقة من هذا. على أي حال، ما دمت أقوم بما يطلب مني حسب الأصول، فلن يكون للمدير ما يشكو منه.

تجاوزته لتدخل المكتب وهناك لاحظت أن للمدير امتيازاً، صحيح أن الغرفة مماثلة لغرفتها إلا أنها أكبر حجماً وأكثر ترتيباً. استطاعت بنظرة واحدة استيعاب الأثاث الأبيض واللوحات الجميلة، والأريكة الصغيرة والمقاعد وطاولات القهوة المكتظة بالمجلات الحديثة.. إنها أشبه بغرفة استقبال. قال لها وليام:

ـ أتشعرين بالغيرة؟

ـ لا.. فقد أحببت مكتبي.. ولكنني لا أنكر أن هذا المكتب ضخم.

ـ قد يكون لك في يوم ما.

ضحكت:

ـ لا تدع المدير يسمعك، فإن سمعك ظنني أسعى وراء وظيفته وهذا أمر خطير!

ـ لماذا تعتقدينه مديراً لا مديرة؟ أولم تتقدمي أولاً لاحتلال هذا المركز؟

ـ لا تذكرني بهذا..

ـ على أي حال.. يوماً ما قد يصبح هذا مكتبك فأنا أحب أن أرقي موظفيَّ ما وسعني إلى ذلك سبيلاً. يجب أن تعملي جاهدة طبعاً، وأن تفعلي ما يقال لك!

ـ سأفعل، ما دمت أقوم بعملي بدون تدخل أحد.

www.elromancia.com

سألها بكل براءة:

- أتقصدينني أنا؟

قبض على ضفيرتها يشدها قليلاً قبل أن يتركها تتدلى فوق كتفها النحيلة.

بالطبع تعنيه هو! من يجرؤ غيره على التأثير فيها كما يفعل؟ وكم تتمنى لو يترك شعرها وشأنه. ألم يشاهد شعراً مضفراً من قبل؟ يا إلهي.. كلما لمسه هكذا أحست بقشعريرة تدب في جلدة رأسها!

ردت بعذوبة، وعيناها الخضراوان تنظران بكل براءة:

- لا أقصدك طبعاً بقولي ذاك سيد توير... فأنت لن ترغب في هدر وقتي الثمين سدى، خاصة وأنك تدفع لي راتباً لا بأس به!

أرسلت ضحكته العميقة ارتعاشة في عمودها الفقري:

- الوقت الضائع معك ليس هدراً بكل تأكيد!

تجاهلت ما يقصده. وحين تركها، ضحك ثانية، ثم صفّر بصوت منخفض، وتابع إيصاد أبواب المشروع أما هي فوقفت تراقبه.

أمسكها بذراعها يقودها إلى موقف السيارات.. اتسعت عيناها عندما رأت سيارة طويلة منخفضة حمراء اللون تبدو سريعة وخطيرة.

ارتدت إلى الوراء قائلة:

- لن أركب هذا الشيء.. أفضل الباص ففيه على الأقل أعرف أنني سأصل إلى بيتي سالمة!

فتح لها الباب:

- لا داعي للخوف.. فأنا سائق ماهر.

تراجعت مرة أخرى: «وأنا واثقة من مهارتك في القيادة ولكن..».

أمسك ذراعها بحزم ودفعها إلى مقعدها:

- لن أسمح لك بكلمة لكن.

ثم دار حول السيارة وصولاً إلى مقعده:

- استرخي.. ستتمتعين فيها.

وكان أن تمتعت فعلاً فقد صدق في كلمته لأنه فعلاً سائق خبير، يحرك السيارة بأقل جهد ممكن.. كان السقف مفتوحاً والهواء البارد يلفح وجنتيها الدافئتين ويلوّح بضفيرتها حول وجهها، وهذا ما جعلهما يضحكان معاً.

صاحت ترفع صوتها فوق عويل الريح:

- سأخبر هال بهذا، وسيتأثر بدون شك.

أظلمت تقاطيع وجهه بتقطيبة شديدة: «ومن هو هال؟».

- إنه أخي الأصغر مني. نعيش في مزرعة بعيدة، حيث أسرع ما نشاهده شاحنة صغيرة قديمة... هل سيشعر بالغيرة يا ترى؟

أحست به يطمئن:

- ربما في يوم ما سأصحبه بنزهة معي.

- أوه.. سيحب هذا كثيراً.

- وقد أتركه يقودها بنفسه.

- يا الله.. لا.. قد يقتل نفسه!

ضحك وليام:

- لا تقلقي.. سيتلقى مني التعليمات اللازمة أولاً، وسأكون إلى جانبه.

ابتعدت روث نحو الباب مبتعدة عنه لأن قربه يثير أعصابها.. أيظن أنه بهذا العرض المتعلق بأخيها سيحق له أن يأخذ حريته معها؟ قالت بخفة:

- إن مثل هذه المناسبة لن تحدث على الأرجح.

حين أوقف السيارة أمام مبنى شقتها، نظر إليها متسائلاً، فعلمت

www.elromancia.com

أنه يتوقع أن تدعوه إلى الداخل، وتمنت لو يطلب هذا لتشعر بسعادة رفضها له ولكنه خيّب أملها فقد مد يده إلى الباب ليفتحه، وقال بحبور:

ـ حظاً سعيداً غداً.

لم يكن أمامها سوى أن تخطو إلى خارج السيارة، قائلة بخجل:

ـ أشكرك لإيصالي.

ـ هذا من دواعي سروري.

ـ إنها سيارة جميلة.

ـ أجل.. حسناً...

لماذا لا تستدير وتدخل؟ ماذا تفعل واقفة هناك تبحث عن كلمات وهو يجلس باسترخاء في سيارته يراقبها بسخرية وتسلية.

أدار المحرك:

ـ سأراك غداً.

ـ ستكون هناك إذن؟

يا إلهي لماذا هذا الامتنان؟

ـ أجل.. لفترة قصيرة.. ففي المشاريع الجديدة تقع حوادث طارئة كثيرة.

تغضنت وجنتاها بابتسامة:

ـ أجل أعتقد ذلك، أراك غداً.

* * *

٣ ـ عناق واحد فقط

كان المشروع يعج بالحركة حين وصلت روث في الصباح التالي.. والملفت للنظر أنها شاهدت وليام فوراً. بدا لها رجل أعمال بكل ذرة فيه، كان يرتدي بذلة من ثلاث قطع وكان قميصه الأبيض رائع اللون أمام سمرته القاتمة.. وكاد قلبها يتوقف حين شاهدت من كان معه..

بعد عشر دقائق دخل مكتبها: «صباح الخير».

كانت عيناه تجولان بإعجاب على تموجات شعرها البراق وعلى ثنايا ثوبها الكحلي، فابتسمت:

ـ صباح الخير.. شاهدتك مع هيلين.. أظنها هنا لمساعدتك في تسجيل ملاحظاتك؟

ـ أبداً.. إنها هنا لأن هنا مكانها.. هيلين ستكون رئيسك المباشر.

ـ أتعني.. أتعني...

ـ هذا صحيح.. هيلين مديرة مكتبي الجديد!

رفعت روث نظرها اليه من فوق مكتبها المليء بالملفات.. هو يمزح بشأن هيلين، طبعاً يمزح! قالت مبتسمة لفكاهته:

ـ لا أصدقك.. أنت تحاول إقلاقي، ليس إلا.

ـ ولماذا أفعل شيئاً كهذا؟

www.elromancia.com

- لأنك شرير!

ضحك ثم اقترب من مكتبها أكثر فأكثر:

- ستحبين هيلين ما إن تتعرفي اليها جيداً. انها قمة في عملها. لا تعجز عن شيء.

- إذن فالأمر صحيح؟ إنها حقاً مديرة المكتب؟

- هذا ما قلته لك.

ظهرت بقعتان حمراوان على وجنتيها:

- لماذا لم تخبرني بذلك أمس.

- لأنك لم تسألي.

- كان ذلك لأنني افترضت ان المدير لن يكون شخصاً أعرفه، أما أنت فتعمدت إخفاء المعلومات عني.

وفاجأها بالاعتراف:

- أجل.. تعمدت هذا، كنت أعلم أنك متوترة بشأن يومك الأول، ولم أجد جدوى في إقلاقك أكثر بخبر هيلين.

تنهد عميقاً قبل أن يردف:

- أتوقع منكما الاتفاق والانسجام، وواثق أنا بأنك ستقومين بتحقيق هذا.

سمعت روث التحذير في صوته، وتساءلت عما إذا كان قد أطلق الإنذار نفسه الى هيلين. أخذت ملفاً فتحته قائلة:

- سأبدأ عملي حالاً.

- هذه فتاتي الطيبة.

رفعت نظرها اليه بحدة:

- لست فتاتك!

وضع يديه على الطاولة، ومال نحوها، وقد تراقصت التسلية في عينيه:

- لا تغضبي بهذه السرعة، إنه تعبير لا أكثر.

أقفلت الملف وردت بحدة:

- وهو تعبير لم يعجبني قط، ففيه استخفاف، في إحدى الوظائف التي أمضيت فيها تمارين عطلات الصيف، ظلّ أحد المديرين يشير الى سكرتيرته البالغة الأربعين، بيا فتاتي، سأطلب من فتاتي أن تطبعه لي، سأطلب من فتاتي إيصال هذا إلى مكتبك، ستعد لنا فتاتي فنجان قهوة...

ضحك وليام، ودفع نفسه عن الطاولة:

- فهمت الرسالة، وأعدك بألا أدعوك يا فتاتي ثانية علماً أنني أعني الكلمة بطريقة مختلفة عما ذكرته لتوك.

أحنت روث رأسها فوق الملفات وقالت:

- أعتقد أنك الآن بعدما حلّت هيلين هنا تبحث عمن يحلّ مكانها في مكتبك الرئيسي.

دفع يديه إلى جيبيه:

- لقد قررت هذا فعلاً، أتراك تأملين بالوظيفة؟

- بالطبع لا!

- ما زال بمقدورنا تدبير الأمر.. ولكن اطمئني ستريننني كثيراً.

اتسعت عيناها ذهولاً.. فقد أذهلها غروره حقاً.

- شكراً.. إنما لي ذاكرة ممتازة.. فمتى شعرت بأنني لن أصبر لحظة دون أن أراك فسأستحضر صورتك، وهذا سيكون كافياً لإبقائي على قيد الحياة.

لمعت أسنانه البيضاء.

- إذن لن تحتاجي إلى صورة فوتوغرافية؟

- لا أظن.. لديك بالتأكيد اعمال أهم من الوقوف أمامي لمراقبتي وأنا أعمل بهذه الملفات.

www.elromancia.com

- سأذهب إذا وعدتني بتناول الغداء معي.

- لا أعرف متى ساعة الغداء.

- فلتكن الساعة الثانية عشرة.

ترددت:

- ربما لهيلين أفكار أخرى.

- سأرتب الأمر لك.

- لا.. لا أظنها فكرة حسنة، أنت تملك المكان نعم ولكنك لن تبقى فيه دائماً. لذا من الأفضل ألا تطلب خدمات في وقت مبكر.. أريد أن تبدأ علاقتي بهيلين بداية جيدة.

ابتسم لجدية كلامها، ولكن روث أحست به معجباً بقرارها، حتى وإن كان ذلك يعني عدم مرافقته إلى الغداء. ولكنه سأل بنعومة:

- وماذا عن علاقتنا؟

أسرعت بالرد وهي تنظر مباشرة إلى عينيه:

- لم أكن أعلم أن بيننا علاقة.. أنت لن تكون هنا، كما أنك لست رئيسي المباشر.. اذن..

قاطعها:

- لا أتكلم عن علاقة العمل. فهناك علاقات أخرى قد تجري بيننا.

دار حول المكتب ليقف خلفه ولما وضع يديه على كتفيها ذعرت ولكن لمسته كانت خفيفة ومثيرة:

- كنت أفكر في علاقة غرامية.

أخذت يده تفرّق الشعر عن مؤخرة عنقها فانبعثت ارتعاشات وحشية إلى كيانها كله:

- لقد قيل لي دائماً إنني عاشق ممتاز.

هبت من كرسيها لتواجهه وكانت نصال ساخنة خضراء تتطاير

من عينيها:

- وهل أنت بحاجة إلى أن يقال لك مثل هذا القول؟ أجل.. أستطيع تصورك وأنت تنتظر النهنئة، حتى في الفراش.

أمسكت ملفاً، وصفقته أمامها وكأنه درع...

وما أدهشها أن ذلك نجح، فقد أحست أنها أشد هدوءاً وأقل خوفاً منه ومن طوله المهيمن وجمال طلعته.. أردفت تسأل بسخرية وشفقة...

- أنت بحاجة الى هذا التطمين.. أليس كذلك؟

لمع الغضب لحظة في عينيه، وظهرت بقعتان حمراوان على أعلى خديه فشعرت روث بقشعريرة النصر لأن كلماتها لامست كبرياءه ورجولته، ولكن نصرها لم يدم، فقد رمى رأسه الى الوراء وضحك.

- آه.. ما أشدّ ما سيمتعني هذا اللسان اللاسع..

تناول الملف من يدها وراح يلقي عليه نظره ثم رماه الى الطاولة:

- سأراك فيما بعد.

وقفت روث لحظات تحدق إلى الباب المقفل متسائلة لماذا تبدو كلماته تهديداً أكثر منها وعداً. ولكن تفكيرها في هذه المسألة توقف حالما دخلت هيلين باختيال إلى مكتبها، كانت تبدو ببذلتها العاجية سيدة أعمال حقاً، وكان يتبعها رجلان يدحرج كل منهما عربة تحمل خزانة ملفات.. لم ترمقها هيلين إلا بنظرة عابرة قبل أن تعطي الرجلين التعليمات بشأن وضع الملفات.

راقبتها روث.. في البداية مذهولة أولاً ثم مذعورة عندما رأت مكتبها الصغيرة المرتب قد عمته الفوضى، ليس فقط بخزانتي الملفات، بل بمكتب آخر وضع أمام النوافذ حيث كُومت عليه

www.elromancia.com

الصناديق عالياً. عندما خرج الرجلان التفتت هيلين إليها، قائلة:

- تحتوي الصناديق على ملفات كل موظفينا الذين هم بمعظمهم منقولون من مصانع أخرى يملكها السيد توير.. وهم جميعهم مدربون تدريباً جيداً في مضمار عملهم ومنتقون على أساس الخبرة، فمن عادة السيد توير أن يبدأ أعماله بتوظيف أفضل من عنده من أشخاص.

لم يترك صوت هيلين شكاً في نفس روث التي رأت أن هذه المرأة تعتبر نفسها أفضل الموظفين. ردت مبتسمة:

- حسناً.. من المؤكد أن للأمر حسناته.. فهو ناجح جداً.

ضاقت عينا هيلين الزرقاوان الباردتان وقالت بلؤم:

- لكنني أظنه في شأنك أنت، قد ارتكب خطأ فادحاً! لقد تناقشنا بشأن مركزك، وكنت أفضل من هو أكبر سناً وأكثر خبرة.. أرجو ألا تضيعي وقتي ووقتك بالإكثار من التعليمات المتعلقة بما ستفعلينه! وإن ثبت أنك غير جديرة بالمنصب أوصيت بطردك.

ردت روث بعذوبة:

- لن يكون هذا ضرورياً أبداً.

وهبت واقفة ترفض أن ترهبها تصرفات هذه المرأة، ثم تقدمت نحو الملفات المكدسة على الطاولة.

- أفهم من هذا أن علي وضع هذه الملفات في الخزائن التي وصلت لتوها.

شخرت هيلين انزعاجاً:

- طبعاً! إلى أين برأيك ستذهب؟

ابتسمت على ما رأته من تضرج واحمرار وجه روث:

- أريد جدولاً جديداً بأسمائهم جميعاً.. وهذا سيتركك مشغولة ساعات.

ارتدت نحو الباب مردفة:

- سأكون في اجتماع مع السيد توير معظم ساعات الصباح. ومن الطبيعي ألا نرغب في من يزعجنا.. ولا داعي للقول إن مسائل كثيرة مهمة تستجد حين افتتاح مشروع بهذا الحجم، وهذا الإنتاج... أهناك أسئلة؟

- ليس في الوقت الحاضر.. لكن...

- جيد.

فتحت هيلين الباب وأقفلته خلفها، أما روث فأضافت قائلة إلى نفسها:

- لكن، أحب أن أعرف متى ساعة غدائي؟

تنهدت تنظر إلى ما حولها.. مكتبها الجميل المرتب يبدو أشبه بمخزن، تحركت عيناها ببطء إلى جبل الملفات على الطاولة، ثم إلى الصناديق المكدسة بالملفات، نعم هي مساعدة مدير إنما إذا نفذت هيلين ما تريد، فقد تجد نفسها موظفة ملفات لا أكثر؟!

عملت روث بثبات طوال الصباح.. فرتبت الملفات على أساس أحدث نظام تعلمته في الكلية.. حين قرع وليام الباب، ودس رأسه إلى الداخل، كانت قد أنهت العمل منذ برهة وكانت متوردة من التعب والرضى، قال بتشدق وهو يتقدم إلى حيث تقف أمام صف خزائن الملفات:

- هذا ما أحب أن أرى.. موظفة نشيطة، سعيدة بعملها.

- أجل.. لقد تمتعت هذا الصباح.. لقد عرفت الكثير عن توير للكمبيوتر ما إن اطلعت على هذه الملفات، أحس أنني هنا منذ أربع سنوات لا منذ أربع ساعات، يجب أن أعترف أن العمل كان مثيراً.

- عظيم.. يسرني ما أسمع.

نظر إلى الخزائن التي لم تكن موجودة في الصباح.. فضحكت

www.elromancia.com

روث:

ـ يكاد لا يبدو ذاك المكتب الصغير المرتب.. أليس كذلك؟

تبعت نظراته التي انتقلت إلى الطاولة القابعة أمام النوافذ، والتي أصبحت الآن فارغة، فسألها عابساً:

ـ أتحتاجين إلى هذه الطاولة.. إنها تحتل مساحة كبيرة.

ـ لا أحتاجها فقد أفرغتها من الملفات التي كانت عليها... مع أنني ما كنت لأستغني عنها وأنا أعيد تنظيم الملفات.

ـ إعادة تنظيم؟ ماذا تعنين؟

أمضت روث نصف ساعة تشرح له ما جرى وتشرح له نظام الملفات الجديد، وسهولة استخدامه، عندما انتهت قال لها:

ـ أثرت في.. لقد وضعت هيلين النظام القديم منذ سنوات ولم يكن يوماً كاملاً... دم جديد، وأفكار جديدة، وفي كتلة نشاط واحدة جميلة.

جعلها إطراؤه تنعم بالدفء ولكنها في الوقت نفسه شعرت بقلق من هيلين.. لم تكن تعرف أنها هي من وضعت النظام القديم.. ولكنها بعدما فكرت الآن، أدركت أن هيلين لا شك ولا ريب هي الفاعلة. إنها مع وليام منذ البداية، وكانت جزءاً من الأيام الماضية.. ماذا تفعل الآن؟ إن حدسها يقول لها إن هيلين لن تكون سعيدة بهذا التغيير.. فقالت:

ـ كان النظام القديم جيداً.. ربما ما كان يجب أن أغيره.

صاح وليام:

ـ كلام سخيف.. بمقدور أي كان أن يرى أن طريقتك هي الفضلى.. لقد تغير الزمن ومع التغيير يأتي التحسين.

دنا من مكتبها ليضغط على زر الفيديو الداخلي، فظهر المشروع كله على الشاشة:

ـ انظري إلى هذا... إنهم في هذه اللحظات يقومون بأفضل ما لديهم وذلك بأحدث التقنيات الحديثة.. ولكن قد يصبح هذا كله في وقت قديم الطراز..

أطفأ الجهاز ونظر إليها وهي تبادله النظر باهتمام:

ـ أترين ما أعني؟ إن لم نرغب في القبول بالتغيير فسنصبح خارج المنافسة.. و...

ـ وليام.

رفع وليام وروث رأسيهما إلى هيلين الواقفة بالباب.. كان يحتل وجهها الجميل قناع باسم. ولكن روث وحدها أدركت الجهد الذي تتكبده.

نظر وليام إلى ساعته وقطب:

ـ يا الله! الثانية عشرة والنصف؟ هل الجميع في قاعة الاجتماع؟

ـ أجل.. ونحن في الانتظار.

نظرت إلى روث وهي ما تزال مبتسمة:

ـ اذهبي إلى الغداء الآن.. ولكن ابتداء من الغد ستكون فرصة الغداء بدءاً من الثانية عشرة وحتى الواحدة.

تمتمت روث:

ـ شكراً لك.

كانت تعلم أن هيلين تتوقع منها الخروج فوراً. فأمسكت حقيبة يدها ولكن وليام تدخل قائلاً:

ـ أريد منك أن تشاركينا الاجتماع، ليس رسمياً ولكنه فرصة لإطلاق بعض الأفكار، ولإجلاء المشاكل.. ستتمتعين به.

شاهدت روث انتفاضة هيلين وتشنجها، فمات حماسها فمن الواضح أن المرأة لا تريد منها أن تحضر الاجتماع.

وأكمل وليام بابتهاج:

www.elromancia.com

ـ لا تقلقي بشأن الغداء.. لقد رتبت هيلين أمر الحصول على بضع سندويشات وقهوة من الكافتيريا.

ابتسم ابتسامة عريضة للمرأتين:

ـ هل لنا أن نذهب الآن؟

ترددت هيلين أمام الباب الذي فتحه وليام، وقالت بهدوء:

ـ لا أظن من الضروري، بل ليست فكرة صائبة أن تنضم روث إلى الاجتماع، إنه يومها الأول، ولا أعتقد أن أحداً يتوقع أن تشارك بشيء.

رد وليام:

ـ أوه.. لكنها شاركت... لقد غيرت نظام الملفات كله.

تضرّجت وجنتا روث ولم يستطع شيء حتى نظرة هيلين الباردة أن تبردهما، فتمتمت:

ـ لم يكن هذا شيئاً يستحق الذكر. سأشرح لك النظام فيما بعد هيلين.. و..

ـ هذا غير ضروري عزيزتي.. فأنا أتوقع منك كونك مساعدتي أنت تقومي بأعمال تافهة كهذه.

ابتسمت لوليام وهي تسير إلى غرفة الاجتماعات:

ـ أليس رائعاً رؤية المكاسب الجديدة، تكنس ما خلفه الزمن؟

ضحك وليام على ملاحظتها لأنه متأكد من أنها مزحة. أما هيلين فوجهت الكلام إلى روث:

ـ أتساءل.. إلى متى ستبقى جديدة؟

كانت غرفة الاجتماعات طويلة منخفضة ذات ديكور مفعم بالذوق وذات أثاث رائع. كان في القاعة عدة رجال يجلسون على كراسي ممتعة للنظر يعبق الجو بثرثراتهم وهمساتهم. رفع الجميع رؤوسهم حينما دخل وليام تلحق به هيلين ثم روث. وتبودلت

التحيات، ورُحب بروث كعضو جديد في عائلة توير للكمبيوترات.

احتل وليام مكانه على رأس طاولة خشبية مصنوعة من خشب الماهوغوني اللماع ولكنه لم يجلس وراءها بل وقف أمامها ليبقى أقرب إلى الموظفين. أما روث فجلست قرب هيلين.

بدأ الاجتماع، واستمر هادئاً منذ بدايته كان خلاله وليام يستقطب أفضل ما يقترحه موظفوه. أصغى باهتمام إلى مشاكلهم يقودهم بحنكة إلى أن يستخلصوا الحلول بأنفسهم. وكانت النتائج مذهلة، عندها رأت روث كيف تمكن هذا الرجل من بناء هذه الأمبراطورية الواسعة في مدة قصيرة، كان يشع في عيون موظفيه الولاء والطاعة لرئيسهم. شعرت بأنهم قد يفعلون أي شيء من أجله خاصة وهم يعلمون أن أجر جهدهم سيتضاعف. وليام توير هو معلمهم وقائدهم، وهم رجاله.

تناولوا السندويشات والقهوة، وكان الاجتماع في ذروة نجاحه حين استلمت هيلين زمام الكلام، كانت قلقة بشأن كلفة الدعاية التي كادت تتجاوز الميزانية.. فماذا ستفعل؟ استمعت روث باهتمام إلى كلام هيلين فتذكرت ملف الإعلانات الكبير الذي امتلأ بقصاصات من الصحف والمجلات التي صورت المشروع ومنتجاته، كان هناك صفحات عن برامج إذاعية وتلفزيونية تلخص أوقات الإعلانات، وكان المبلغ المصروف كبيراً، لذا وجدت قلق هيلين في محله ووجدت نفسها تشعر بالاختناق من أرقام هذه النفقات فهي معتادة على حياة التقشف والتوفير ولهذا تساءلت عما إذا كانوا يبالغون بالتغطية الإعلامية.

فجأة سألها وليام:

ـ ماذا تعتقدين أن علينا أن نفعل آنسة بارس؟

التفتت إليه، وهي لا تصدق ما تسمع. إنه يسألها الحل! لعقت

www.elromancia.com

شفتيها بارتباك، وأحست بالتورد يتصاعد إلى وجنتيها: «أنا؟!».

ضحك بنعومة:

ـ أجل.. أنت.. أنت تجلسين على حافة الكرسي، وكأنك وجدت حلاً للمشكلة.

أحست روث بعيني هيلين القاسيتين تخترقانها، ولكنها أبقت عينيها على وليام خاصة وهي تعلم أنها أصبحت محط أنظار الجميع. فهبت واقفة وشيء ما في عيني وليام يعطيها الثقة التي تحتاج.

ـ حسناً.. قد يكون لدي الحل.

سألها وليام بلطف حين صمتت:

ـ نعم.. وما هو؟

سحبت نفساً عميقاً.. تماسكي يا فتاة.. هذه فرصتك لإثبات جدارتك، ولتعريف الجميع بأن سنوات الخبرة ليست ضرورية دائماً.. وأن..

كانت هيلين قد عادت إلى القعود بعد الكلام حين طرح وليام السؤال على روث، ولكنها الآن عادت إلى الوقوف بطولها الشامخ، لتبدد أفكار روث بصوتها الحاد:

ـ لا أعتقدها مؤهلة لإعطاء وجهة نظر أو رأي في هذا الاجتماع.

التفتت تنظر إلى روث بابتسامة إشفاق مزيفة.

ـ عزيزتي المسكينة.. أنت تتساءلين دون شك لماذا رُميت في عرين الأسد.. فهذا يومك الأول.

لكن عرين الأسد هو المكان الذي تحب روث أن تكون فيه.. قابلت ابتسامة هيلين الساخرة بابتسامة امتنان، وقالت وعيناها الخضراوان تعودان إلى وليام.

ـ لا.. تسرني هذه الفرصة.. إن شركة توير اسم مشهور في كل مكان، وليس فقط في هذه المدينة بل في كل المدن. ذكرت هيلين

أن ميزانية الإعلان تكاد تتجاوز الحد المطلوب لذلك أقترح أن تتوقف كل الإعلانات على الأقل شهرين و...

ـ تتوقف؟

كان صوت هيلين مزيجاً من عدم التصديق والغضب. فنظرت بانتصار إلى وليام، شعرت روث أن هيلين لا تقف وحدها بل تؤكد تعابير المجتمعين أن «الفتاة الجديدة» إما فقدت عقلها، أو لا عقل لها أصلاً.. ولكن وليام تحدث بصوت منخفض:

ـ أكملي حديثك روث.. أرجوك.. كنت تقولين إن من الضرورة إيقاف الإعلانات مدة شهرين على الأقل؟

ـ أجل.. أعرف تماماً أهمية الإعلانات.. ولكن حين تكون المؤسسة مشهورة كمؤسستنا..

نظرت روث إلى ما حولها بيأس.. كان الرجال ينظرون إليها باهتمام مهذب مصطنع، أما هيلين فأرسلت إليها رسائل صامتة لتنتبه قبل أن تتفوه بحماقات أخرى. ولكن عينيها عادتا إلى وليام الذي رفع حاجبيه بطريقة رأت فيها إذناً بإتمام كلامها. لقد تجاوزت حد التراجع، أو هذا ما تقوله نظرته.

ـ أحس.. وأظن أن هذا المصنع قادر على ركوب موجات الشهرة التي تتمتع بها الشركة عامة.. فالزخم موجود، ومن السخف إهداره.

جلست.. كان يمكن لها إضافة الكثير، ولكن ما كانت ستقوله أمور واضحة.. فإن توقفت الحملة الدعائية لن يتجاوزوا خط الميزانية الأحمر. وسيظل اسم هذه المؤسسة عالق في الذاكرة تأثراً بفروع الشركة الأخرى.

لم تلاحظ روث الصمت الذي تبع اقتراحها الذي أطلقته بصوت واضح مقنع، كانت أذناها تضجان بإثارة داخلية ولكنها تعلم أن

www.elromancia.com

اقتراحها وإن لم يقبل معقول ومنطقي.. وأنها لم تخزِ نفسها، ولو فعلت، فعلى الأقل كانت محاولة..

وقفت هيلين بسرعة:

- حسناً.. بعدما أدلت مساعدتي برأيها أقترح أن نعود إلى بحث مسألة الإعلانات. لقد حضرت لإظهار آخر إنتاجاتنا على التلفزيون في الأسابيع الثلاثة القادمة. وسنعزز هذا بإعلانات في الإذاعات، وبرامج الصباح، وبين الخامسة والسادسة من الأمسيات، لنحظى بالاهتمام. ونظراً إلى النفقات المتزايدة باستمرار، فكرت أن نحد من تغطيتنا الإعلامية ولن يكون التوفير كبيراً نعم ولكنه سيكون كافياً لإبعادنا عن الخط الأحمر.

نظرت روث إلى يديها المنقبضتين في حجرها وهي ترى أن هيلين لم تجد اقتراحها عملياً.. ولكنها استرقت النظر إلى وليام فإذا به مشغول بالتحديق إلى ملف الدعايات الذي أعطته إياه هيلين. قلبت أصابعه الطويلة الصفحات بسرعة.. كان على قسماته الوسيمة تقطيبة مرتبكة، تزداد عمقاً مع كل صفحة يديرها.. أخيراً، أقفل الملف ووضعه على الطاولة.. وحين رفع بصره كانت التقطيبة متلاشية ولكن آثارها ما تزال في عينيه.. أحست روث بقشعريرة ارتباك تنطلق فوق ظهرها.. لقد قال وليام توير إنه رئيس حازم وعادل، وها هي الآن تشاهد الجانبين منه في هذا الاجتماع.. ولكن، هناك شيئاً ما بشأن هذا الرجل الذي ما إن وضع الملف على الطاولة حتى أطلق على الجميع هذه النظرة الفحمية من عينيه السوداوين اللتين جعلتا روث تدرك أن هناك نوعاً معيناً من القسوة فيه قد تجعل منه عدواً لدوداً.

ركز بصره على هيلين مباشرة:

- أنت على حق بأن تقلقي.. لقد وصلت حملتنا الإعلامية إلى

حد التخمة!

أحست بهيلين تنتفض أما الجميع فسلطوا نظراتهم عليه ورغم قلة خبرتها، علمت روث ما الذي يجري.. الرئيس غير مسرور! كانت كلمات نطقها بهدوء ولكنها احتلت كل الغرفة حتى زواياها المظلمة كصفارة إنذار تتبعها الأنوار الحمراء المتواترة. فجأة تكهرب الجو وبانت الخطورة فشعرت روث بجفاف فمها، أما أعضاؤها كلها فتوترت استعداداً للعمل.

هزت هيلين رأسها بإذعان:

- ربما تجاوزت حدي قليلاً.. ولكنك شددّت دائماً على أهمية الدعاية.

- وأنا أرى أن شركتنا تلقت أفضلها.

- طبعاً!

تلاشت البسمة ببطء عن وجه هيلين عندما ركز وليام نظرته الباردة عليها:

- سنتبع نصيحة مساعدتك ونوقف الدعايات مدة شهرين.

شهقت هيلين:

- ولكن...

رفع وليام يده، وكان هذا كافياً لإسكاتها، ثم التفت إلى روث:

- اتركي الاجتماع إن شئت الآن.

عمت البهجة قلب روث لأن الخلاص قد دنا. وعندما أصبحت في مكتبها لاذت إليه حتى جاءت هيلين بعد ساعتين لتقول لها إن عليها أن تناقش معها أفكارها قبل أن تطلقها في أي اجتماع. وبعدما أطلقت إنذارها خرجت كعاصفة غضوب من المكتب.

تنهدت روث وعادت إلى عملها. لقد وسع اقتراحها البريء الهوة بينها وبين هيلين ولكن ماذا كان بإمكانها أن تفعل؟ لقد قالت

www.elromancia.com

هيلين إنها قلقة والرئيس الكبير سألها رأيها فما ذنبها إن كان رأيها صائباً؟

ابتسمت روث، وفكرت في نفسها: أحس بالزهو.. هذه ريشة الاعتزاز الأولى على رأسي، وكم أحب الإحساس بها. عندما يدخل وليام لتهنئتي، فسأهز كتفي استخفافاً بتقديره.. سأكون متواضعة ساعة انتصاري ومجدي!

لكن وليام لم يأت لتهنئتها.. بل ترك المشروع بعد وقت قصير من انتهاء الاجتماع، وبقيت خلال أسبوع كامل لا تكاد تراه وعندما كانت تراه كان يتم ذلك عبر التلفزيون أو في صورة في الصحف.. فبدأت تتساءل كيف يكون الإحساس عندما يكون المرء محاطاً برجال السياسة، والبيروقراطيين والأغنياء والمشهورين. تساءلت مستغربة كذلك ما إذا كان يتعب من نظرات الإعجاب التي ترمقه بها الجميلات اللواتي يظهرن متعلقات بذراعه.

ولكن تساؤلها هذا لا يعود إلى اهتمامها به طبعاً بل يعود إلى استغرابها فحسب، فغالباً ما تساءلت أثناء زياراته القليلة للمشروع عما يجعل الإناث في المشروع يعاملنه بالطريقة ذاتها.

وعندما كان يخاطبها كانت تحاول جاهدة أن يخرج صوتها بارداً ونادراً ما ابتسمت له، وكانت تعجبها حيرته التي كان منشؤها تصرفها هذا، فهو لم يعتد على أن يتجاهله أحد خاصة النساء.

كانت منصبة على حل بعض ما طلب إليها في الجامعة في إحدى الأمسيات حينما رن جرس الشقة، ألقت نظرة سريعة إلى ساعة المطبخ فعلمت أن الساعة تكاد تصل العاشرة، إنها لا تنتظر وصول أحد، خاصة في مثل هذه الساعة. تقدمت إلى الباب بدون حذر وسألت وهي واقفة بعيدة عن الخشب:

ـ من الطارق؟

ـ وليام توير.

امتزجت الراحة بالتوقع المثير فهرعت إلى الباب تفتحه.. كان وليام هناك حاملاً كوبين من البلاستيك.. لم ينتظر دعوتها بل خطا إلى غرفة الجلوس.. وحالما تجاوزها تهادت إليها رائحة عطر نسائي، فعرفت أنه كان يمضي السهرة مع رفيقة.

قدّم إليها أحد الكوبين: «قهوة بدون سكر».

وجلس على أحد المقاعد ينظر إلى ما حوله:

ـ مكان رائع.. صغير وحميم.

رفع الغطاء عن كوب قهوته ليرتشف منه رشفة. نظرت روث إليه، فإذا هو ممدد براحة على المقعد، حيث تقاطعت ساقاه المديدتان واعتلت وجهه نظرة رضى عميقة. قال مبتسماً لها:

ـ آه.. كنت أتطلع شوقاً إلى هذا. وأنا آسف لأن الوقت متأخر...

سحبت نفساً عميقاً قبل أن تقاطعه:

ـ أكان لديك موعد لم تتمكن من انتزاع نفسك منه؟ لماذا أنت هنا؟

ـ لأراك بالطبع!

ربت ذراع المقعد، وقال بلهجة توسل:

ـ تعالي واجلسي قربي.. وحاولي التظاهر بأنك سعيدة برؤيتي.

حين لم تتحرك.. تنهد بعمق ثم أغمض عينيه:

ـ اشربي قهوتك إذن.. تكاد تبرد.

وضعت الكوب إلى جانبه على الطاولة:

ـ لا.. اشربها أنت.. فلست من يحتاج إلى قهوة مرّة بل أنت لأنك مرهق ومشتت الفكر.

ضحك ونظر إليها من بين أهدابه الطويلة:

www.elromancia.com

ـ لكنني على ما يرام.

أرخى جسده أكثر في المقعد واضعاً يديه خلف رأسه ومظهراً ابتسامة كسول بدت واضحة على وجهه الوسيم المتعب. حين نظرت روث نظرة ذات معنى إلى ساعتها، تظاهر بأنه لم يلاحظ حركتها تلك، وعندما مدّ يده يتناول كوبها قالت محذرة:

ـ لا تسترح كثيراً فلا أريد أن تنام هنا.

أعاد الفنجان إلى مكانه، ووقف وعيناه السوداوان لا تفارقان وجهها وسألها بهدوء:

ـ أتريدين أن أذهب؟

مد يده إليها يجذبها بلطف فابتلعت روث ريقها بصعوبة:

ـ احتسي قهوتك أولاً.

ـ لقد احتسيتها!

طفق قلبها يقفز بجنون في صدرها:

ـ اوه.. حسناً.. قلت إن بإمكانك شرب فنجاني.

ابتسم لعينيها الصافيتين الخضراوين:

ـ لا.. لقد اكتفيت.

أخذت يده تتسلل إلى ذراعها، ومنها إلى عنقها:

ـ أريد فقط أن أمضي بعض الوقت معك.

أحنى رأسه يلثم شعرها، فارتدت إلى الوراء وعيناها ضبابيتان من الغضب، سألته ببرود:

ـ أخذلتك رفيقتك الليلة؟ فهل تعتقد أن فنجان قهوة قد يشتري لك مكاناً في بيتي؟

وضع يديه في جيبيه، ونظر إليها بحزن:

ـ من ذكر لك شيئاً عن مكان لي؟

ـ لماذا أنت هنا إذن؟

ـ لأتفقّد أحوالك، ولأتحدث إليك قليلاً.

ـ حسناً.. لقد رأيت أنني بخير.

ارتدت عنه، وكتفاها الصغيرتان منحنيتين تعباً.. فسألها بهدوء:

ـ ماذا كنت تفعلين قبل وصولي؟

ـ أقوم على حل بعض المسائل.

مررت يدها على مقدمة شعرها متنهدة:

ـ إنها تتعبني قليلاً.. فلم أستطع الوصول إلى ميزانية صحيحة.

ـ هل لي أن أنظر إليها؟

ارتفعت عيناها ببطء إلى وجهه وفجأة ابتسمت:

ـ أتعرض عليّ مساعدتي في حلها؟

رد والخبث يطل من عينيه:

ـ على أن أحظى بقبلة أجراً على المساعدة.

تحولت ابتسامتها إلى ضحكة:

ـ أنت مساوم قاسٍ. ولكنني يائسة إلى درجة القبول. قبلة صغيرة فقط، قبلة واحدة!

* * *

www.elromancia.com

٤ـ تلاحقه في الكوابيس

قادت روث وليام إلى المطبخ الصغير وهو المكان الذي أمضت فيه الأمسية كلها تحاول حل تلك المسألة. كانت الطاولة مغطاة بالكتب والأقلام، وبآلة حاسبة، أما في الوسط فكانت ورقة بيضاء مقتطعة من دفتر محاسبة، مطبوع عليها، وبطريقة مرتبة أرقام وأرقام. التقطت الورقة فراجعتها عابسة، ثم تنهدت.

ـ لقد راجعتها، وراجعتها ولم أستطع الوصول إلى الميزانية.

ـ فلألق نظرة.

تناول منها الورقة وراح يراجع الأرقام بسرعة.. راقبته روث وهي ترى أن وجوده يحتل المطبخ كله. وما استغربته أنه رغم ثرائه الواضح ينسجم مع هذا المكان المتواضع البسيط. فجأة استحوذ على تفكيرها التساؤل عمن كانت رفيقته الليلة وعما إذا كانت ترتدي.. فجأة تمنت لو كانت ثيابها غير هذا الجينز والتيشيرت.. فتح وليام الورقة على الطاولة ومال فوقها، فراقبته روث مسحورة به وبأصابعه المديدة الطويلة السمراء وهي تمر على الأرقام، كانت تكاد تسمع دماغه يعمل مسجلاً وحاسباً ككمبيوتر، ثم قال مشيراً إلى العمود الحسابي في جهة الورقة اليسرى:

ـ هنا تكمن المشكلة.

ازدادت اقتراباً منه حتى كادت كتفها النحيلة تلامس كتفه الضخمة وذلك لمزيد من الإمعان في النظر.

ـ أين؟

ـ هنا.. حين حوّلت الأوزان غيرت ألف باوند إلى ألف كيلوغرام بدلاً من قيمته الحقيقية: أربعمئة وأربعة وخمسون كيلوغرام ونصف.

تأوهت روث، تفكر في الساعات التي هدرتها على هذه الأرقام.

ـ أوه... لا!.. كيف أكون بهذا الغباء!

ضحك وليام، ومد يده إلى زجاجة سائل صغيرة ليصحح الخطأ، بعدما عدّله قال:

ـ هاك.. أصبحت حساباتك على خير حال.

ـ شكراً لك وليام.

نظر إليها مبتسماً: «رددي هذا مرة أخرى».

ـ شكراً لك.

لامس وجنتها:

ـ لم أقصد هذا.. رددي اسمي مرة أخرى.

ـ وليام.

ـ يبدو الاسم رائعاً وهو يخرج من ثغرك. ولكن أرجوك رددديه بشيء من الإحساس هذه المرة.

ـ اوه.. بالله عليك وليام، أيجب أن أقف هنا طوال الليل مرددة اسمك مرات ومرات؟

ـ أنت على حق.

أمسك خدها الدافىء في يده ومرر اصبعه مداعباً شفتيها المرتجفتين.. ثم جذبها اليه:

ـ الوقت متأخر، وأنا أرى تعبك.. فلنذهب إلى النوم.. و...

أنهت عنه كلامه، عندما انسلّت من قبضته:

ـ وهناك أستطيع تكرار اسمك.. أم من المفترض وأنا في

www.elromancia.com

الفراش أن «أهمس» به؟ أتعلم ماذا يحيرني فيك؟

- أهو سحري الغامر؟

- لا.. بل غرورك المقرف!

ضحك ثم وضع يديه على كتفيها:

- أنت تقولين أعذب الكلمات.. وهذا ما يحيرني فيك.

اشتدت قبضة يديه على كتفيها، فيما ازداد التوتر في عينيه. أحست بنفسها تنجذب إليه دون مقاومة، وتذكرت القبلة التي وعدته بها. فتسللت ذراعاها إلى عنقه تطوقانه وراحت أطراف أناملها تعبث بشعره الأسود.. عندما أخفض رأسه علمت أنه ينتظر القبلة الموعودة فكادت تعجز عن كبح ضحكة.. وقفت على أطراف أصابعها، ووضعت يديها على خديه، ثم لثمت جبينه بقبلة سريعة قبل أن تتراجع بسرعة، وبريق الانتصار في عينيها لما تراه على وجهه من دهشة وإحباط. من الواضح أنه كان ينتظر المزيد.. بل أكثر من المزيد.

مرر يده على جبينه، وسألها بحزن:

- أهذا كل شيء؟ أهذه مكافأتي على مساعدتي التي قدمتها؟

- لم تقم بشيء بل صححت غلطة بسيطة فقط، وشكرتك على هذا.

تنهد، ونظر إلى الكتب المنتشرة على الطاولة.. وقال متجهماً:

- تعملين جاهدة.. منذ متى وأنت تحاولين إصلاح الخطأ؟

- منذ عدت من العمل.

- ولماذا التعب؟ ما دام لديك وظيفة جيدة فما الحاجة إلى مزيد من الدرس.

- ولماذا افتتحت مشروعاً جديداً؟ وأنت لا تحتاجه.

نظر إليها من بين أهداب شبه مغمضة ثم دس يديه في جيبيه:

- هذا أمر مختلف.

- لماذا؟ ألأنك رجل وأنا امرأة؟

ضحك بنعومة:

- لا تجريني إلى هذا الجدال.. لا.. مع افتتاح كل مشروع جديد أفسح المجال لمزيد من التوظيف.. بينما أنت لا تقدمين لنفسك إلا الجهد والتعب.

التقط كتاباً عنوانه اقتصاد المستقبل، قرأ عنوانه ثم نظر إلى وجهها الشاحب، وإلى عينيها المتعبتين.

- أي أمر تحتاجين إلى معرفته اسأليني عنه.

- شكراً لك.. ولكنني أفضل اكتساب العلم من الكتب.

- بإرهاق نفسك؟

راح يصف الكتب فوق بعضها بعضاً بالترتيب. وحين انتهى، استقام ونظر إليها مفكراً:

- لديّ كتب قد تجدينها مفيدة.. سأحملها إلى مكتبك غداً.

ردت بدهشة:

- شكراً لك.. سأقدّر لك هذا بكل تأكيد.

أصمتها بتلويح يده بطريقة تشير إلى نفاذ صبره:

- لست موافقاً على ما تفعلين.. أنت ترهقين صحتك.. تعملين طوال اليوم، وطوال الليل تقريباً.. وهذه خير وصفة للكارثة.

- تتكلم وكأنك خبرت هذا.. أكنت يوماً مثلي؟ أراهن على هذا.. أجل.. أتصورك تعمل أربعاً وعشرين ساعة لبناء أعمالك... ما الذي حدث؟ هل سئمت وأصبت بالإحباط؟ لا.. لا أتصور هذا! أنت قوي وكلك صحة!

نظرت إليه تقصد مزاحاً مزعجاً:

- أم تعاني من حياتك العاطفية؟ أكنت مضطراً لإطلاق أكذوبتين

www.elromancia.com

أو ثلاثة بشأن حبك في الأسبوع؟ لا شك أن ذلك كان قاسياً عليك.

وأطلقت تنهيدة إشفاق حزينة.

نظر إليها غاضباً:

- لا يسرني مثل هذا المزاح!

رفع يده ليدس أصابعه بخشونة في شعره.. فابتسمت عندما أردف:

- لماذا لا تطلبين مني الرحيل؟

- أملت ألا أحتاج إليه خاصة بعدما أبديت اهتماماً بتعبي.

بدا أنه تراجع عن قول شيء ما، فقد أطبق فمه، وارتد على عقبيه متجهاً إلى الباب الخارجي. لحقت به روث تبتسم متسائلة عما إذا كانت المرة الأولى التي يعاني فيها وليام توير من رفض عاطفي. أمام الباب التفت يبحث في وجهها عن أي عطف وحينما لم يرَ شيئاً تنهّد:

- تصبحين على خير روث. نامي جيداً.

- تصبح على خير وليام.. شكراً لك. كن واثقاً أنني سأغط في نوم عميق.

حينما دخلت في الصباح إلى مكتبها تهادى إليها رنين الهاتف فأسرعت تلتقطه ولكنها في الوقت نفسه رأت كتباً على مكتبها.

- صباح الخير.. روث بارس تتكلم.

- صباح الخير يا جميلتي الصغيرة.

ملأ صوت وليام أذنها بعمقه الرجولي:

- ما رأيك بالكتب التي أرسلتها؟

- لم تتح لي الفرصة لتصفحها.. ولكنها من خلال عناوينها تبدو مناسبة جداً.

- عظيم... كيف نمت ليلة أمس؟

- نوماً عميقاً.. وأنت؟

- نوماً مزعجاً! فقد ظل ذلك الكابوس يلاحقني.. كنت فيه محاطة بالكتب وأوراق المحاسبة، مما استحال عليّ الوصول إليك. حاولت إزاحتها لكنها لم تستجب لي وأخيراً أحسست بالتعب.

ضحكت وهي لا تحس بذرة أسف:

- يا للمسكين.. أعتقد أنك غير معتاد على النوم وحيداً. لا شك في أنك استوحشت.

- ألا يُشعرك هذا بالأسى علي؟

- أبداً..

مدت يدها تزيل غطاء الكمبيوتر، قبل أن تخلع السترة الصفراء الشبيهة بفستانها الخالي من الأكمام:

- يجب أن أذهب الآن وليام. أشكرك على الكتب ثانية.

- هاي.. ليس بهذه السرعة. يجب أن أراك. ما رأيك بمشاطرتي العشاء الليلة؟

- لا أظن هذا.

أحست بتنهيدته: «لا تظنين»؟.

فابتسمت حين أضاف:

- ما نوع هذا الجواب؟

- لدي جامعة في الثامنة، وهذا يعني أن لا وقت لدي.

- سننتزع الوقت.. سأصحبك من عملك في الخامسة.

- أريد القراءة قليلاً قبل الذهاب إلى الجامعة. لكن.. اوه.. حسناً.. سأتناول العشاء معك.

- هذه هي فتاتي المفعمة بالإشراق والحماسة.

تجاهلت سخريته:

- يجب أن أذهب الآن، أراك في الخامسة.

www.elromancia.com

أعادت السماعة إلى مكانها ثم قعدت مبتسمة تردد لنفسها بصوت منخفض: «أنا لست فتاتك وليام توير! فلا يمكن لفتاة رصينة، متزنة العقل أن تقع في حب رجل لعوب عابث مثلك... رجل لأوقات المرح! هذا ما أنت عليه، وليام توير.. ولا أصدق أبداً أنك فقدت القدرة على النوم بسببي ليلة أمس».

ابتسمت تهز رأسها بمرح ثم بدأت عملها. كان الوقت قد شارف على ساعة الغداء حين دخلت هيلين إلى المكتب تسأل روث بصوتها البارد المتحفظ:

ـ كيف تسير الأمور؟

ـ على ما يرام.. شكراً لك. أحس بالسعادة في العمل هنا، فالجميع ودود معي.

ـ نعم.. حسناً...

لكن صوتها تلاشى حين لاحظت الكتب المكدسة على الطاولة.. وسألت مقطبة:

ـ ما هذه؟ أتقومين بحل فروضك أثناء ساعات العمل؟

ـ اوه لا.. لقد أرسلها إلي وليام. يظنها قد تساعدني في دروسي، إنها كتب حساب تعود إلى سنواته الدراسية، تصوري لم أستطع إلقاء نظرة عليها.

نظرت اليها هيلين بحقد:

ـ حسناً.. لكن لا تجعلي مكتبك غرفة دراسة. أنا خارجة الآن، وقد لا أعود بعد الظهر.. لدي غداء عمل مع وليام فثمة أمور عديدة نتداولها. هل ستتدبرين الأمر وحدك؟

ابتسمت روث بعذوبة. لقد أمضت طوال الصباح وهي تقوم بعمل هيلين الخاص...

ـ بالطبع أستطيع.

ردت هيلين ببرود: «تأكدي من هذا».

وكما توقعت روث لم تعد هيلين إلى العمل فكان أن وقع على كاهلها أعمال مضاعفة وهذا يعني أن وليام نسي موعدهما للعشاء. حاولت إقناع نفسها بأنها لا تأبه بل أقنعت نفسها فعلاً أنها سعيدة هكذا.. فكلما قلّت فرص رؤيته كلما كان ذلك خيراً لها.

قررت أن لا فائدة من الانتظار إلى ما بعد الخامسة لترى ما إذا كان سيجيء. لذلك فقد قبلت عرضاً لإيصالها إلى منزلها. فما ستوفره من وقت بعدم انتظار الباص، سيمكنها من تناول وجبة خفيفة قبل أن تحضر نفسها للذهاب إلى الجامعة حيث مقهاها المفضل في شارع الملكة، وفي هذا المقهى يجتمع معظم طلاب الجامعة، الطعام هناك جيد، والأسعار معقولة، والجو رائع..

كان المنتزه يعج دائماً بالحركة، ولم تكن الليلة استثناء. تقدمت روث من الرصيف المطلي بلون مرجاني، تستنشق الجو.. كان بعض الطلاب مجتمعين في حلقات يغنون أما البعض الآخر فأخذ ينصت إلى أنغام رفاقهم المبتكرة. وكان الناس يرمون للمغنين المال وهذا ما فعلته روث، قبل أن تقصد المقهى، وكتبها تحت ذراعها.

ـ روث! روث! انتظري!

استدارت روث فإذا بها ترى وليام يسرع إليها راكضاً.. كانت ساقاه المديدتان تأكلان المسافة أكلاً. كانت الأمسية دافئة، مثالية ولكن وليام توير بدا منتعشاً بارداً وكأنه محاط بمكيفات غير مرئية، وكان يسترعي انتباه كل أنثى يمر بها. أمسكها بكتفيها صائحاً:

ـ إن أعصابك لعينة باردة! لماذا لم تنتظريني؟

رفعت رأسها متحدية:

ـ لقد انتظرت.. حتى الخامسة والدقيقة الخامسة.

www.elromancia.com

تمتم بشيء من بين أسنانه وتركها:

ـ كنت في المشروع في الخامسة.. شاهدتك تغادرين.

أمسكت كتبها أمام صدرها:

ـ أستغرب لماذا لم تصرخ لتناديني كما فعلت الآن.. الناس يحدقون إلينا.. أتفتعل الفضائح عادة؟

أمسك بمرفقها ووضعها إلى الأمام:

ـ فليحدقوا.. نعم، سأفتعل الفضائح إذا كانت ضرورية لألفت اهتمامك... أشعر وكأنني غلام في مدرسة!

ابتسمت روث على تعابير عينيه الشرسة، وقالت بصوت ناعم:

ـ لكنك لا تبدو غلاماً أبداً.

نظر إليها وقد جلت أساريره، وطردت بسمة خشنة العبوس عن وجهه.

ـ أنت جميلة حين تبتسمين.

ـ فقط حين أبتسم؟

اشتدت قبضته على ذراعها، فسرت قشعريرة وحشية في جسدها.. رد بصوت عميق يشدد على كل كلمة ينطقها:

ـ «خاصة» حين تبتسمين، و«فقط» حين تكون الابتسامة لي وحدي!

ضحكت بحبور:

ـ اعتقدت أنك ستكره أن أبتسم لك طوال الوقت.. ألن تصبح البسمة مضجرة؟

ومضت نظرة ذات مغزى في عينيه السوداوين:

ـ أبداً! فابتسامتك تتغير مع تغيّر مزاجك.. وحده شاعر قد يفهم ما أعني.

كانا قد توقفا أمام المقهى حيث الطلاب يتوافدون ويخرجون

وكل منهم ينظر بفضول إلى الرجل الطويل الوسيم، وإلى الفتاة الشابة الجميلة اللذان لا يبدوان طلاباً. ولو قيل لروث انهما يشبهان عاشقين لأصيبت بالذعر!

كانت شفتاها منفرجتين ملؤهما الإغواء تلمع بينهما أسنان بيضاء.. ارتفعت يدها النحيلة الرشيقة إلى رأسها بتردد ثم سرى الاحمرار ببطء في وجهها، فقالت له إن كلماته تشعرها بالسرور وبإشباع رغبتها. تنفس بصعوبة وعمق، ثم دس ذراعه حول كتفيها، وعندها لاحظ للمرة الأولى المقهى وقال برد فعل سريع:

ـ لماذا توقفنا هنا؟

ـ لتناول العشاء، لقد دعوتني.. أتذكر؟

ـ إنما ليس هنا!

أمسكت بذراعه:

ـ بلى.. هنا. لا تكن متعجرفاً، أنا آكل هنا دائماً.

ـ ليس وأنت معي!

بدأ يحركها مبتعداً ولكنها تراجعت، وقالت بحزم:

ـ هذه المرة «أنت» معي.

استدار ببطء يواجهها، والتسلية الساخرة تلمع في عينيه السوداوين كالليل. فخفق قلب روث بعنف وأحست بجفاف ريقها، لم تبتسم بل لم تستطع الابتسام.. لقد قرأ ما تفكر فيه وأحست بغبائها وسذاجتها، ولكن لو تراجعت الآن، لساء الموقف فكان أن تمسكت بموقفها، وانقلبت نظرة التحدي إلى عبوس، فالتوى فمه بسخرية، وسألها بلطف:

ـ أنا معك؟

هزت رأسها وهي غير قادرة على انتزاع عينيها عنه.. التفت مشيراً إلى المقهى الذي أحبته دائماً، والذي بدا لها الآن صاخباً جداً

www.elromancia.com

و.. يا إلهي! ما الذي حدث للنوافذ؟ كان يجب أن تلاحظ اتساخها:

ـ هنا؟ أهذا هو المكان الذي ترغبين في اصطحابي إليه؟ أتتوقعين حقاً أن أتناول فيه الطعام؟

اختطفت كتبها من ذراعيه، وصاحت بإصرار:

ـ نعم! أعلم أنه لن يعجبك، لكنه المكان الذي أصطحب إليه من أتواعد معه!

وارتدت على عقبيها لتدخل فاصطدمت بالناس بلا وعي عاجزة عن فهم مشاعرها المجروحة لأن المقهى الصغير لم يعجبه. كانت مع ذلك تعلم يقيناً أنه لن يعجبه خاصة هو وليام توير!

وصلت إلى الطاولة الصغيرة التي اعتادت الجلوس عليها، تلك التي في الزاوية، البعيدة عن الباب، والتي أصبح من المعروف أنها لها، كما تعرف تماماً ما يفضله الآخرون. كان المكان بطريقة ما أشبه بجمعية أخوية للفقراء وللطلاب الكادحين وهو مكان يستطيعون فيه التجمع، وهم يشعرون بالرابط المشترك. لا يمكن لأشخاص كوليام توير، أن يفهموا ولا هم بالمرحب بهم. وما كانت لتأتي به إلى هنا مهما كلف الأمر. جعله حظها اللعين وحده يلحق بها وجعلها حظها الألعن منه تُقدم على دعوته. فيم كانت تفكر حين دعته؟

أرجعت كرسيها إلى الوراء وساعدها وليام على الجلوس، وذلك بعدما أخذ منها الكتب التي وضعها على الأرض قبل أن يقول بتذمر:

ـ أليست صغيرة هذه الطاولات؟

مد يده إلى لائحة الطعام الرثة المكتوبة باليد، وأخذ يحدجها بنظراته قبل أن يرفعها إليها:

ـ أظنني سأجرب الطبق «الخاص».. فاصوليا بالنقانق.

اعتلت فمها ابتسامة صادقة واستغربت نفسها لأنها لم تستطع

البقاء غاضبة أكثر من بضع دقائق.. عقدت ذراعيها على الطاولة وقالت:

ـ النقانق والفاصوليا لذيذة الطعم.. ولكنني سأطلب السلطة.

دفع اللائحة لها، فهزت رأسها وضحكت:

ـ أحفظها عن ظهر قلب، فهي لا تتغير أبداً فحتى الأطباق الخاصة تظهر في موعدها.

وضع وليام اللائحة من يده وراح يجول بنظره على ما حوله فلحقت روث بنظراته. كانت مصابيح صغيرة تنير كل طاولة وكان الشبان يتحلقون حول هذه الطاولات بعضهم يأكل والآخر يشرب وكلهم يثرثرون رافعين أصواتهم ليسمعوا بعضهم بعضاً بسبب الضجة، وكان عازفا الغيتار يعزفان لحن روث المفضل.. سألته:

ـ إنه ليس من الأمكنة المفضلة عندك طبعاً؟

رد على مضض:

ـ ليس سيئاً.. ولكنه ليس المكان المناسب لفتاة مثلك.

ـ فتاة مثلي؟ أنت لا تكاد تعرفني.

ـ وهل يعرفك أحد هنا أفضل مني؟

تورد وجهها من رنة صوته:

ـ ماذا تعني؟

مد يده يضعها فوق يديها:

ـ أهناك صديق حميم، يراقبنا الآن؟

انتزعت يديها منه:

ـ بالطبع لا! قلت لك إن لا وقت عندي لصداقات من هذا النوع. ألا تصغي أبداً إلى ما أقوله؟

رد بهدوء:

ـ أنا أصغي الآن... وأستغرب انزعاجك... إنه هنا أليس

كذلك؟

كان وكأنه قرّر أمراً واقعاً، فعبست: «من».

مال إليها فجأة، مما جعلها تتراجع مذعورة:

ـ صديقك الحميم.. وإلا لماذا تتصرفين بطريقة غريبة؟ ولماذا لم ترغبي فيَّ هنا؟ ألهذا هربت من العمل بسرعة؟ أكنت مستعجلة لمقابلته؟

ـ أنت مجنون!

وانتزعت يديها منه ثانية.

عادت عيناه إلى مسح المكان وكأنه يفتش عن حبيبها، ثم وقف فجأة، يشدها معه:

ـ هذا أمر سخيف.. لا يمكننا التحدث هنا.

انحنى يلتقط كتبها بيد فيما أمسكت اليد الأخرى ذراعها بحزم.. لعقت روث شفتيها بتوتر وقد تضرّجت وجنتاها حرجاً لأنهما أصبحا محط الاهتمام. وكان أن تركته يقودها إلى الخارج وهي بين يديه وديعة كالحمل، ولكن ما إن أصبحا في الخارج، حتى انطلق غضبها المكبوت من عقاله، فصاحت وجسدها ينتفض انتفاضاً:

ـ كيف تجرؤ على معاملتي هكذا أمام جميع أصدقائي؟ لن أتمكن من العودة إلى هنا ثانية.

ضربت الأرض بقدمها غضباً وسخطاً وإحباطاً:

ـ لم أذل قط كالآن، كدت أموت حرجاً.

ردّت شعرها إلى الوراء وعيناها الخضراوان تلمعان، ووجنتاها الورديتان تُظلمان. وقالت تهمس بحدة وحقد:

ـ لو تعلم ما أتمناه لك ولبام توير لذعرت!

وقف هادئاً أمامها، يصب نظرة باردة عليها.. ثم قال ببطء

بعدما صمتت:

ـ أظنك.. جائعة.. ستشعرين بتحسن بعد الأكل.

لف ذراعه حول كتفيها كمن يحميها، فرفعت نظرها إليه وهي لا تصدق ما تسمع.. لقد أفسد المكان الوحيد الذي تستطيع تحمل نفقاته، المكان الوحيد الذي تتمتع فيه بحياة اجتماعية.. إنها تستطيع أن تتصور ما يدور في المقهى الآن، وما من شك أن الجميع سيهاجمها ويطلب شرحاً عن الغريب الوسيم الذي جرّها إلى الخارج كمراهقة جانحة أو ما هو أسوأ من هذا، وها هو الآن يتصرف وكأن الأمر كله غلطة وكأن جوعها هو المسؤول عن غضبها أو كأن لا علاقة له بشيء.. هذا الرجل لا يطاق! إنه يثير السخط.. ترقرقت دموع الإحباط في عينيها، وقالت متأوهة:

ـ اووه.. ما الفائدة.. أطعمني إذا كان هناك ضرورة.

ابتسم لها، واشتدت ذراعه حول كتفيها، وقال بصوت ملاطف:

ـ يا للمسكينة.. تحتاجين إلى ما هو ساخن ومنشّط.. وأعرف تماماً أين نحصل عليه.

وصحبها إلى منزله.

* * *

٥ ـ يدان جميلتان

بدا مجمّع سيدني للفنون أشبه بجزيرة من الأنوار الذهبية التي خلّفتها الشمس المائلة إلى الغروب وكانت الشلالات والنوافير المتعددة الألوان تضيف إلى أرض الخيال روعة تزينها الجسور المشعة بالأنوار، وانعكست أنوار «النيون» فوق المياه المتراقصة، فجعلتها كطريق معبدة بالألماس والزفير والدرر. بدا المنظر فائق الجمال، يقطع الأنفاس، وكانت قد شاهدت هذا كله من شرفة منزل وليام توير الواقع على أعلى تلة تشرف على المدينة.

سألها وليام بصوت منخفض:

ـ هل أعجبك؟

ردت هامسة، وعيناها مثبتتان على المنظر المذهل الذي يغير ألوانه مع غروب الشمس.

ـ أظنني وقعت في حبه.

ضحك وليام ثم لف ذراعه على كتفيها يشدها إليه:

ـ تقعين في حب منظر؟

ردت باللهجة الذاهلة نفسها:

ـ اجل.. أنت رجل محظوظ وليام ولكنك وللأسف لا تقدّر الجمال كله.

ازدادت ابتسامته عمقاً:

ـ علميني كيف أقدّر ما أملك إذن.

ولمع بريق شيطاني في عمق عينيه.

تحركت روث مبتعدة عن ذراعه.. كانت ترى من الشرفة غرفة الجلوس الفخمة الواسعة.. إن اللوحات الزيتية وحدها تساوي ثروة، أما الموسيقى الناعمة فتناهت إليها وكأنها منبعثة من مكان ما هناك... عندما وصلا استقبلهما خادم لم تظهر عليه الدهشة لعودة سيده متأبطاً ذراع امرأة، كم من السيدات يا ترى كان هناك في حياته؟ كم من امرأة صحبها وليام إلى هذه الفيللا الجميلة ووقف معها جنباً إلى جنب يحدق إلى المنظر؟ على الأرجح لم تكن بينهن من تأثرت بما شاهدت تأثر روث.. ولا ريب في أنه يتمتع بإظهار ما يمكن لشاب مديني أن يوفره لفتاة ريفية.

وليام توير، يا للشيطان المسكين، إنه يملك حقاً الكثير! لذا لا غرابة أن تسعى هيلين إليه لتكون جزءاً من ثروته... فتحت روث ذراعيها فوق سياج الشرفة وهزت رأسها بحزن، وقالت متنهدة:

ـ أشعر بالأسى عليك وليام.

اتسعت عيناه ذهولاً من كلماتها الصادقة.. ولكنه ضحك:

ـ الأسى.. عليّ أنا؟ أنت تمزحين بدون شك؟

هزت رأسها:

ـ أنت وحيد هنا في هذا المنزل الضخم.. مع أن بمقدورك ألا تكون كذلك.

تمتم، وكأنه يلمح إلى شيء، ثم تقدم منها:

ـ هذا صحيح... لماذا لا تسكنين معي؟ شقتك صغيرة، أما شقتي فضخمة وفيها غرف كثيرة تكفينا.

قصد بابتسامته تلك أن يفتنها وينزع سلاحها، ولكن كان لتلك الضحكة التأثير السلبي في روث، فقد أغضبتها:

ـ ألا تتعب أبداً من قول أشياء كهذه؟

www.elromancia.com

هز كتفيه العريضتين ونظر إليها والحيرة في عينيه:

- أية أشياء؟ لقد اقترحت عليك، ما أردت أن أقترحه.

- ما أردتك أنا أن تقترحه! لن أشاطرك مسكنك ولو دفعت لي أجراً على ذلك.

- إذن إلام كنت تشيرين؟

- كنت أشير إلى حاجتك لزوجة وعائلة، لأناس تحبهم وتهتم بهم وتشاركهم حياتك.

ارتفع حاجباه بسخرية:

- وهل يجب أن تكون هذه الزوجة أنت.

صاحت به: «بالطبع لا».

- إذن لماذا اقترحت ذلك؟

دس يديه في جيبيه، وقد بدا حردان كطفل مدلل لم ينل مرة ما يبتغيه.

ابتسمت روث، تقاوم إغراء أن تلمسه.. فللمرة الأولى تدرك مدى هشاشته. لقد جعله ذكاؤه يكون ثروة ضخمة وسلطة تناسب هذه الثورة.. ولكنها تشك في أنه يفهم الأمور البديهية عن الحب. فهو لم يتعلم أبداً الفرق بين الحب والرغبة، فالأمر بالنسبة لرجل كوليام سيّان. والمشكلة الوحيدة هنا، أن بإمكان المرء بناء حياة كاملة على أحدهما لكن ليس على الآخر...

قالت بهدوء:

- لقد اقترحت هذا.. لأنني أهتم بك وأظن أن طريقة حياتك محفوفة بالأخطاء. فكل رجل يحتاج إلى زوجة وعائلة، ولا أظنك استثناء.

ملأت شخرة تشبه الضحك الشرفة:

- يا الهي يا امرأة! من تخالين نفسك لتعظيني؟

- لم أكن أعظ بل أقترح، وكان علي أن أعرف أنك لن تقبل النصيحة.

- لن أقبل؟ النساء جميعهن متشابهات.. يصبحن مجنونات ما إن يرين رجلاً أعزب سعيداً! فهن لا يرغبن إلا في وضع قيد في عنقه وحلقة في أنفه.

ردت بحدة وعيناها تلمعان غضباً:

- ستبدو ظريفاً هكذا!

وهي من كانت تفكر بمصلحته.. هذا الرجل لا يمكن التفاهم معه.

أمسك يدها وشدها بخشونة إليه:

- والنساء يبدين أظرف عندما يغازلهن الرجل!

رفع يده إلى شعرها وجذبه إلى الخلف، ففتحت فمها لتصرخ، ولكن الصوت مات في حلقها. وعندما حاولت المقاومة للخلاص منه أحست بالذعر من يديه اللتين امتدتا إلى جسدها المرتجف.

صاح بها آمراً: «اجمدي».

أفلتت شهقة رعب من حنجرتها قبل أن يطبق ذراعيه عليها مجدداً، يعصرها، يعاقبها لتجرئها على زج أنفها في حياته.

في لحظة كانت تقاوم، وكأن حياتها تتعلق بالخلاص منه. وفي لحظة أخرى كانت تتعلق به، وللسبب نفسه اجتاحتها أحاسيس تلو أحاسيس فمحت من أمامها كل شيء إلا جمال أن تكون بين ذراعيه.

لم تعد روث تذكر فيما بعد التفاصيل. ولم تذكر كذلك كيف وصلت إلى الأريكة العريضة على الشرفة حيث النجوم تتلألأ وتتراقص على أنغام الموسيقى المتناهية من غرفة الجلوس، كانت تذكر ما جرى بطريقة ضبابية وقربه منها يولّد إحساساً غريباً في نفسها ولكنها في لحظة أحست أنها عادت إلى الواقع، أو عاد الواقع إليها

www.elromancia.com

مسرعاً.

صاحت منتحبة: «وليام! أرجوك! لا.. لا!»

شهق: «فات الأوان..».

ـ وليام!

أمسكت بجانبي وجهه وحاولت مذعورة أن تدفعه عنها متأوهة بعذاب فابتعد.. ثم جلس قربها على الأريكة، يمرر يديه في شعره وخداه متوردان، وعيناه تقدحان غضباً وإحباطاً.

قال لها بخشونة، وهو يراقب بازدراء محاولتها في تسوية ثيابها:

ـ أولاً النصيحة.. ثم الدرس.. من أنت؟ امرأة تكره الرجال؟

كان له الحق بالغضب.. لقد وصلا إلى نقطة اللا رجوع ولكنها في هذه اللحظة بالذات عاد إليها تعقلها وهذا ما آلمه مع أنها شكرت ربها لأن عبثهما لم يمتد أكثر من هذا. طغى عليها الخجل.. ما كان عليها مرافقته إلى هنا.. إنها غلطة شنيعة.. أحست به يقف، وأحست بعينيه تخترقان روحها، فهمست:

ـ أنا آسفة وليام.. لم أكن أقصد أن يحدث هذا.

سحب نفساً مضطرباً، غير أن عينيه لم تفارقا عينيها، يسهل أن يقع اللوم عليها بسبب ما تصرفت معه ولكنها لا تذكر شيئاً.. وهذا في الواقع ما أزعجها وأربكها وشوش أفكارها. كانت تعلم طوال الوقت أنه رجل خطر. لقد أنذرتها غريزتها، هذا عدا ما تعرفه عن الرجل وسمعته. ولقد اختبرت مسبقاً ما قد تفعله بها لمسة منه. كان قلبها حتى وهو ينظر إليها يقوم بأشياء غريبة مثيرة في صدرها.. لا.. ليس هناك من تلومه سوى نفسها، وها هي الآن تعرف أنه يكرهها.. كانت عيناه مشبعتين بالكره فأحنت روث رأسها ووقفت ببطء ولكنها أحست بيديه على كتفيها وبأصابعه تحفر لحمها.

ـ انظري إليّ روث (قال آمراً).

ترددت.. ثم رفعت رأسها بحذر تنظر إليه من بين أهداب حريرية. فجأة تلاشى غضبه وشاهدت في عينيه ما آمنت أنه البؤس عينه.. فارتعدت.. لقد سئم منها، ومن يلومه على ذلك؟ فهو لا يحتاج إلى إرهاق نفسه لينال الحب! بل يأتيه الحب بسهولة وبكافة الأحجام والأشكال. ترى هل أتاه اليوم عصراً حين كان مع هيلين؟ جعلها هذا الاحتمال تحس بالسقم. ما الضرورة التي يراها في أن تكون له نساء عديدات؟ لماذا لا يدعنه وشأنه؟ يدعنه لها!

هزت رأسها في محاولة لإجلاء التشوش عنه، والتخلص من الأفكار السخيفة... يتركنه لها.. حقاً!.. لا يمكنها أبداً أن تحب رجلاً كهذا! خاصة وأن رجلاً مثله لن يحبها أبداً! إنهما من عالمين مختلفين، هي تؤمن بالحب، والزواج، وهو بكل بساطة لا يعرفهما..

سمعته يقول بصوت هادىء ناصح:

ـ انسي ما حدث.. لم يحدث ضرر، أو على الأقل لم يحدث ضرر جسدي. أظن العشاء جاهزاً.. أسمع لويس وهو يتقدم بعربة الطعام.

وكأنما بناء على إشارة، تقدم الخادم يجر أمامه عربة غنية بالمآكل. راقبت روث وليام يساعد لويس في تنظيم الأطباق الشهية على الطاولة الزجاجية.. ابتسم الخادم لها قبل أن ينسحب، فتساءلت عما إذا كان الرجل العجوز يشك فيما حدث على الشرفة.. التفت وليام يشير إليها بالجلوس معه ولكنها تراجعت لأنها لم تكن تشعر برغبة في الطعام، بل لن تستطيع ابتلاع شيء منه.. كانت تحس بالغثيان، وبالصداع. إنها لا تريد إلا العودة إلى منزلها لتغتسل وتنام.. لم تكن ترغب في قضاء دقيقة أخرى مع رجل يظهر عدم الرضى والسخرية من تزمتها.

www.elromancia.com

ولكنه حوّل شحوبها إلى احمرار بنظرة قاسية:

- روث؟ تعالي كلي!

ترددت، لأنها لا تثق بأن ركبتيها المرتجفتين قادرتان على حملها إلى الطاولة. ولكن عندما التقت عيونهما أحست بجسدها يشتد حرارة وحيوية، كما أحست بأنه ما زال يداعبها. فابتلعت ريقها تكراراً، وما إن حرك يده مرة أخرى يدعوها حتى استعادت قدماها أجنحة غير مرئية، وما هي إلا هنيهة حتى أصبحت إلى جانبه، تسمح له بأن يجلسها في كرسي.

سمعت نفسها تقول بصوت ضعيف واهن لا تصدق أنه صوتها:

- لا أظن أن لديَّ من الوقت ما يخولني تناول الطعام.

- هراء..! لم تكد تبلغ الساعة السابعة وأذكر أنك قلتِ إن الدرس لا يبدأ قبل الثامنة..

- كنت أريد أن أقرأ في المكتبة أولاً.. وهذا ما أفعله عادة.

يا الله! إنها أشبه بطفل ضائع خائف خوفاً يثير الشفقة. تماسكي يا فتاة..!

- لا تقلقي.. لا نبعد عن الجامعة إلا مسافة قصيرة.

وضع بعض السلطة في طبق وقدمه لها، فالتقطت الشوكة بدافع الواجب وبدأت تأكل، وهي تغض النظر لئلا تلتقي عيناها عينيه.

مضت الوجبة بصمت مطبق، لم تحاول روث فيه التحدث وبدا لها أن وليام قد نسي وجودها معه. أهو مشغول الفكر إلى هذه الدرجة؟ تساءلت عما يفكر فيه، وعما إذا كان آسفاً على دعوتها إلى منزله.. لم تكن شهيتها تماثل شهيته، ولكنها لم تتمكن من إعطاء الأطباق الشهية حقها من التقدير.

كانت روث حينما راح لويس يقدم القهوة أهدأ حالاً. فأسندت نفسها إلى مقعدها، مبتسمة إلى لويس الذي كان يزيل آخر أطباق

الطعام.

قالت لوليام بصوت هادىء، وتعابيرها حالمة:

- أنت محظوظ جداً بوجود لويس معك.

- تقولين دائماً أنت محظوظ.

- إنها الحقيقة.. وأرجو أن تقدّره.

- أقدّر جميع من يعمل عندي.

التقطت روث لمعاناً غامضاً في عينيه ولكنها أشاحت بصرها بسرعة وردت بصدق:

- أجل.. أعرف ذلك... وهو أمر مفيد.. فالموظفون جميعهم مخلصون لك وللعمل.. أتعلم أنه لا يمر يوم دون أن يأتي من يطلب وظيفة عندك؟

- إن البطالة المتفشية هي ميزة هذه الأيام.

- لا.. ليس الأمر كذلك! بل المسألة تتعلق بسمعتك وليام. إن من يتقدم للعمل عندك يعلم أنه سيكون محظوظاً إن قبل توظيفه لأن ذلك يعني تطوره وخروجه من الظلام فأنت تمنح عمّالك الحرية..

ضحكت بنعومة.. ثم أردفت:

- أصغ إلي، هل أبدو وكأنني مصلحة اجتماعية!

ابتسم وليام ثم غطى يدها بيده، وقال بصوت منخفض:

- بل تبدين مثلي.. أو على الأقل ما كنت عليه حين افتتحت أول مشروع.

- لكن، هذا ما أنت عليه.. الفرص موجودة لمن يريدها.

- ولكن هذه الأيام رغم ذلك ليست كما مضى من أيام. فالأيام الخوالي كان يقصد بها خمسين أو أربعين سنة، أما الآن فهي تعني الأسبوع الماضي.. وحتى الأمس. ذلك أن التكنولوجيا تتغير.

- صحيح.. ولكنك تتغير معها.

www.elromancia.com

- ليس الأمر بالسهولة التي تظنين يا حلوتي الصغيرة.. فمشروع اليوم قد ينتهي إلى قُمامة الغد، رغم وجود أهل الكفاءة فيه.

- ألهذا تسمح للعاملين أن يكون لهم مشاريع خاصة؟

- أجل.. إنما ضمن المعقول طبعاً.. هذا يحافظ على اهتمامهم ويؤمن الحفاظ على المقومات المهمة خاصة الإثارة!

هزت رأسها: «أجل فالملل قد يكون قاتلاً».

سألها بهدوء:

- وماذا عنك روث؟ أما زال للوظيفة تأثيرها فيك أم بدأت تشعرين ببوادر الڤيروس القاتل؟

هزت رأسها:

- أتعني السأم؟ لا.. ليس بعد.

- ليس بعد؟ أيعني أنك قد تسأمين؟

ضحكت روث:

- اوه.. وليام. ليتك ترى وجهك! أتهتم كثيراً إن أصاب أحد موظفيك السأم؟ هل تحمل الأمر على محمل شخصي؟

- طبعاً.. فالسأم قد يغدو وباءً. إنه يتفشى بسرعة وقد يصبح السبب الرئيسي في ضعف العمل، وحصول الحوادث.

أخفضت عينيها خجلاً.. إنه على حق. ولكنها كانت تمازحه ليس إلا أما هو فأخذ ما قالته على محمل الجد.

سألته: «كيف كان موعد غدائك مع هيلين؟».

خافت من نفسها لأن الغيرة بانت في صوتها، فهل لاحظ؟

- لم يكن موعداً! كان اجتماعاً شمل الغداء لتوفير الوقت فلست أهتم عاطفياً بهيلين.. لماذا تسألين؟

- فضول ليس إلا.. أكان هناك ما هو هام للنقاش؟

سرت ابتسامة كسول على وجهه.

- أنا لا أهدر وقتي على توافه الأمور.

وضعت روث كوب القهوة، وضمت يديها في حضنها.

- أشكرك حقاً لأنك دعوتني للمشاركة في الاجتماع.

- وأنا شاكر لك اقتراحك.. لقد وفرنا على أنفسنا مبالغ طائلة بالنزول على اقتراحك وفي الوقت نفسه لم نخسر شيئاً من المبيعات.

- كان لدي أفكار جيدة أخرى.

- ولماذا لم تسمعينا إياها؟ أكنت تخفينها لاجتماعات أخرى؟

تضرَّج وجهها حرجاً، وهذا ما أضفى عليها مظهراً جذاباً. قالت تعترف بخجل: «أجل، أعتقد ذلك».

- أنا مستعد دائماً لسماع الاقتراحات الجديدة ولم يحدث أن رفضت فكرة جيدة.

استرخت، ثم مالت إلى الأمام:

- حسناً.. ما رأيك بهذه الفكرة؟ نادي كومبيوتر لأبناء الموظفين!

- لدينا نادٍ اجتماعي.

- أعرف.. وفيه يجد الآباء والصغار المرح المطلوب أما المراهقون فلا يحضرون إلا رغماً عنهم وتحت ضغط الوالدين.

عبس وليام:

- لم أكن أعرف هذا.. إنما أعتقد أن السبب مفهوم.. لدى المراهقين اهتمامات خاصة.

- ولكن، ماذا لو فعلوا ما يريدون، في المشروع، أيام السبت؟

- قد يعيقون العمل.

- لا.. لن يفعلوا لأن الإنتاج لا يتم نهار السبت بل ما يتم مجرد عمليات توضيب لذا أرى أن بالإمكان تفريغ الساحة خلف المصنع على أن يعطوا القطع المتبقية من التجميع ليخترعوا منها ما يريدون،

www.elromancia.com

وهكذا يصبحون أكثر وعياً لما يفعله أهلهم لكسب قُوتهم.

أثرت فيه حماستها، فمال إلى الوراء يحدق فيها مفكراً، ثم قال ببطء:

- ليست فكرة سيئة.. بل عظيمة جداً..! لو أتيحت لي فرصة العبث هكذا في طفولتي ومراهقتي لتخليت عن ذراعي.

- حسناً، لا أظن أن من الصواب تركهم يعبثون.. خاصة إذا كان بينهم من هو مثلك في طفولتك!

وضحكت، فرمى رأسه إلى الخلف ضاحكاً بدوره.. وعرفت أن ريبتها بأن طفولته كانت صارمة، صحيحة، فلم يكن وليام تويز قط ملاكاً.

سألها بأسلوب جاد:

- أتعلمين أن ما تقترحين سيساعد المراهقين على حل المشاكل القائمة بينهم وبين الأهل؟

- تشير إلى المخدرات والخلاعة وما إلى ذلك؟

- أجل.. ما نوع ذاك الحيوان الذي يرضى أن يبيع المراهقين المخدرات؟ بل لماذا يتعاطى هؤلاء هذه الأشياء؟ إنهم يعرفون ضررها، وما تفعل بهم. فقد عرفوا مضارها في المدارس والتلفزيون، وأنى ذهبت ونظرت تجدي نوعاً من الحملات ضد المخدرات.

- ولكنها غير نافعة على ما يبدو فالمشكلة تتعاظم. عندما كنت مراهقة أسرق الوقت لتدخين سيكارة في حمامات المدرسة، كان يعتبر ذلك جرأة، أما الأولاد الآن فيدخنون حتى في المدارس الابتدائية وبشكل علني.

هز وليام رأسه:

- وما إن يصلوا إلى المدارس الثانوية حتى يصبحوا مدخنين، أو

يتحولوا إلى المخدرات.

- صحيح.. أمر محزن.. أليس كذلك؟

- محزن ومقلق للآباء.. ذكرت لي مرة أن لك أخاً صغيراً.. هل واجهتك معه مشاكل؟

ابتسمت فشاهد البريق الذي ومض في عينيها:

- ولي أخت اسمها كارولين، هي وهال ولدان رائعان، ولا أظنهما ينحرفان يوماً. فبعيداً عن عدم امتلاكهما المال لشراء السكائر، أو المخدرات، فهما محظوظان بحياتهما وعيشتهما، إن المخدرات والسكائر غير متوفرة كثيراً في الريف كما في المدن الكبيرة.

نظر إلى ساعته:

- حسناً.. فلنأمل أن تساعد فكرتك بعض الأولاد. لقد حان وقت الذهاب.

- اوه.. بهذه السرعة؟.. أجل، من الأفضل أن أتحرك.

وأحست الآن بالتردد لأنها ستفترق عنه.. وقفا معاً، ثم قام هو بالتقدم إليها لمساعدتها في ارتداء سترتها الصفراء وحينما وضع السترة عليها رفع شعرها بعناية بعيداً عن الياقة فكان أن لمست يداه عنقها فشعرت بهما دافئتين وشعرت بقربه يكاد يصيبها بالدوار.

أدارها إليه ويداه مستقرتان على كتفيها أما عيناه السوداوان فأمسكتا بعينيها.. وقال متمتماً:

- لماذا لا تتغيبين عن الجامعة؟

- آسفة وليام. ولكن محاضرة اليوم بالذات مهمة جداً وأخشى أن تفوتني.

رفع كلتا يديها ليشدهما إلى شفتيه: «أرجوك».

هزت رأسها: «آسفة».

- لا تكوني شريرة.

- إن لم تتحرك فوراً تأخرت، فكيف ستحمّل ضميرك هذا؟

- هل سيعاقبونك؟

ضحكت: «سينزلون بي خمسين جلدة».

أخذ يقبل أطراف أناملها.

- إذن، من الأفضل ألا نخاطر، فلديك يدان جميلتان.

نظرت روث إلى يديها وهما بين يديه فإذا هما فعلاً جميلتين في يديه الضخمتين السمراوتين! فسحبتهما بسرعة ودستهما في جيبي السترة... لقد راحت سلطة هذا الرجل تصبح خطرة عليها أكثر من أي مخدر.. مشاعرها المثارة جعلت صوتها فاقد الصبر وحاداً:

- أتذهب؟

- سأحضر كتبك. من الواضح أنني أضيع لك وقتك الثمين!

أرادت أن تعترض.. أن تقول له إنها تمتعت بكل دقيقة، بكل ثانية قضتها معه ولكن الكلمات أبت الخروج... لعل هذا التعبير القاتم الذي طغى على قسمات وجهه، كان السبب في صمتها.

حين وجدت صوتها أخيراً، لم تكن الكلمات التي خرجت هي ما تريد أن تقول:

- أنا.. تمتعت..

سألها باقتضاب: «نعم».

- بالطعام... كان... لذيذاً.

- سأقول هذا للويس.. وسيكون سعيداً بذلك.

ما إن اختفت السيارة الحمراء عن نظرها، حتى وجدت نفسها تقول:

- ولكنني تمتعت بصحبتك خاصة. تمتعت.. كثيراً!

وبالطبع لم يكن هناك طريقة ليسمع وليام ما قالته!

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ الحب يأتي مرة

أصبح مبنى المشروع مهجوراً وغدا الهدوء مخيفاً. كانت روث قد أنهت آخر تقارير المبيعات واقفلت الخزانة عليها. الساعة الآن الثامنة، وهي متعبة للغاية فعنقها متشنجة ومتألمة. كما انها جائعة جوعاً شديداً يجعلها لا تقوى على ركوب الباص وصولاً إلى المنزل.

تناهى اليها صوت خفيض تبعته أصوات أشد ارتفاعاً، فذعرت ذعراً مفاجئاً ولكنها لم تلبث أن شجعت نفسها فقد كانت متوترة كثيراً مؤخراً. ولا شك أن الحرس يقومون بجولتهم، متأكدين من إيصاد الأبواب والنوافذ. ابتسمت تصرف عنها مخاوفها الحمقاء، ثم انحنت لتتناول حقيبتها من درج مكتبها السفلي.

في تلك اللحظة بالذات، انفتح باب مكتبها، فشهقت:

ـ وليام! . . يا إلهي لقد ارعبتني!

ـ هذا واضح . . ما الذي تفعلينه هنا؟

ـ كنت اتم تقارير المبيعات.

ـ لِمَ لم تؤجليها إلى الغد؟ لقد تجاوزت الساعة الثامنة.

ـ أعلم . . ولكن كان هناك الكثير منها و . . . و . . .

ـ وظننت أنك قد تحصلين على بعض الساعات الاضافية؟

ارتفع اللون الأحمر إلى وجنتيها: «بالطبع لا».

سحبت نفساً عميقاً لم تلبث أن أخرجته ببطء:

ـ من السهل العمل بالارقام حين يكون كل شيء هادئاً حيث لا يقاطعك شيء.

رمت حقيبتها فوق كتفها وأمسكت بها بين يديها، بارقة العينين:

ـ أكنت تريد شيئاً من مكتبي أم كنت تقوم بجولة؟

ـ شاهدت الأنوار . . .

لم يكمل جملته، بل دس يديه في جيبي سرواله.

أردفت عنه روث غاضبة:

ـ رأيت الأنوار، فظننت أنني أهملت واجباتي فنسيت إطفاءها. أليس كذلك؟

دارت حول المكتب لتقف أمامه، وقد غدا وجهها ورديا، قاتماً يماثل لون فستانها، أما عيناها فأصبحتا زرقاوين كبحر متأجج.

هز كتفيه العريضتين.

ـ ظننت أن الأمر يستحق إلقاء نظرة.

أخرج يده من جيبه ومررها على خدها:

ـ غضبت مني؟

أبعدت يده عنها: «لا . . . لست غاضبة».

ـ بلى . . أنت غاضبة . . أنت لم تتكلمي معي منذ عشاء تلك الليلة، ولم تردي على مكالمتي الهاتفية . . فلا شك أنك غاضبة من شيء ما.

ارجعت رأسها الى الوراء تنظر اليه:

ـ لا تكن سخيفاً . . كيف يمكن لأي إنسان أن يغضب من السيد الرائع؟

ابتسم:

ـ السيد الرائع؟ أهذا هو الاسم السري الذي تطلقينه عليّ؟

www.elromancia.com

ـ بل هذا ما أطلقه عليك علناً! فانت قد لا ترغب في سماع ما أدعوك به سراً!

برقت عيناه بالتسلية:

ـ أعرف ما تعنين بقولك «علناً» روث.. الآنسة بارس.. ولكنك في سري بطلة كل أحلامي الخيالية!

ـ قد يكون الأصح أن تقول «الضحية»!

ضحك: «آه! أنت غاضبة أكثر مما ظننت».

وضعت روث يديها على خصرها:

ـ لست غاضبة! وإن كنت تستنسب إبعادي عن وضع مخطط للنادي الاجتماعي فلن أشعر بالتكدر بكل تأكيد. فأنا واثقة أنك وهيلين تسيطران على كل شيء، وربما استطعت حتى الآن ان تقنع نفسك بأن الفكرة فكرتك!

هز رأسه ضاحكاً:

ـ هذا هو السبب إذن! تحسين أنك مهجورة.

ـ أنا لا أحس بشيء.

ـ بل تحسين بذلك وأستطيع أن أجزم أنك تشعرين بأن كبرياءك مجروح.

ـ حسناً لا تظهر هذه السعادة كلها.

ـ ولكنني سعيد.. فذلك يظهر اهتمامك بي.

تنهدت بعمق:

ـ هذا لا يظهر شيئاً.. الأمر كل الأمر أنني لا أفهم سبب إعراضك عمّا أستطيع تقديمه من مساعدة. يبدو أن الجميع يشارك إلا أنا!

وضع يديه على كتفيها:

ـ وهناك سبب وجيه لهذا وألا وهو عملك ودراستك.

ـ لكنني أريد المساعدة.. ارجوك وليام.. أنا..

ضغطت أصابعه على كتفيها دليل الغضب:

ـ لا!

ـ ولكن لماذا؟ لن يؤثر هذا في عملي، أعدك، وإن عرفتُ أنني قد أتأخر في العمل أعد أن أبكّر في المجيء و..

انهى عنها جملتها:

ـ... وتبقين حتى وقت متأخر.. ولهذا السبب بالذات لا أريد أن تشاركي، فلديك التزامات عديدة.

ـ أظنني أنا وحدي الحكم على هذا.

ارتدت عنه:

ـ حسن جداً.. إذن إن كنت لا تريدني فلا بأس.

ـ تتصرفين كطفلة.

ـ وانت عنيد.. عنيد وغير منطقي.

ـ اسمعي روث ما أطلبه هو لمصلحتك. أنت تعملين جاهدة. أقسم لك أن وزنك يتضاءل وها وجهك قد غدا شاحباً بل هناك دوائر سوداء تظهر تحت عينيك... فإذا لم تحذري تحولت هذه الدوائر إلى أكياس!

رفعت يدها بشكل درامي إلى جبينها، وأغمضت عينيها، ثم قالت صارخة:

ـ يا إلهي! لا أستغرب الآن عدم رغبته في أن أكون قربه، فلست سوى سيدة نحيلة شاحبة، حول عينيها أكياس. أنا لا أنتمي إلى ذاك النوع من النساء الذي يهواه وليام توير.. كيف لي أن أكون غبية إلى هذا الحد!

أمسك بيدها، وجذبها إليه، فراحت تقاوم لتتخلص.

ـ اتركني.. أنت تؤلمني.

www.elromancia.com

ترك يدها ليرجع شعرها عن وجهها فإذا لمسته ناعمة تكاد تسلبها زمام نفسها.

ـ أنا لا أؤلمك... وهذا ما تعرفينه جيداً..

تنهد مردفاً: «أعتقد أنك لم تتناولي الطعام».

ـ بل أكاد أموت جوعاً!

ـ وأعتقد أنك تنوين ركوب الباص إلى منزلك، أم آمل أن تقولي إنك اشتريت سيارة فأشعر أنني أفضل حالاً.

علت شفتيها ابتسامة:

ـ لا.. لم أشتر واحدة.

ـ لا أحب أن تسيري وحدك في شوارع مظلمة، وتنتظري في محطات الاوتوبيس... هذا غير آمن. لماذا لم تفعلي شيئاً بصدد شراء سيارة؟

ـ الأمر بسيط.. لا أقدر على شراء سيارة.

عبس عبوساً شديداً:

ـ قد اصدق هذا لو لم أكن من يدفع لك أجرك.

رفعت كتفيها باعتزاز، ثم اخفضتهما.. فلا تريد أن تخبره عما تفعل بمالها، ولكنه لم يشأ إطلاقاً ترك المسألة:

ـ أترسلين مالاً إلى أهلك؟

طريقته في طرح السؤال، أخرجت الرد مرتجفاً من شفتيها، فلم تجد إلا نفسها تخبره بكل شيء عن المزرعة والصعوبات وعن سبب وفاة أبيها. روت القصة بدون أن يظهر في صوتها أثر للإشفاق على النفس.. وحين انتهت، شاهدت الإعجاب في عينيه... عائلة بارس عائلة مناضلة وهي المحاربة البارزة فيها... جلس على حافة المكتب، وجلست الى جانبه.. تتعجب من إحساسها بالدفء والأمان اللذين تمنحها إياهما ذراعه الملتفة على كتفيها... حين

تكلم، أصغت إليه باهتمام يماثل ما أعطاها إياه من طمأنينة:

ـ قصة حياتنا متشابهة بطريقة ما، فقد مات والدي عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري. في ذاك الوقت كنت أعتقد أننا أثرياء.. ولكن بعد الجنازة عرفت وأمي أن أبي لم يكن يدفع فواتيره! فاضطررنا لبيع كل شيء لتسديد الديون. وانتهى بنا الأمر أن سكنا شقة مؤلفة من غرفة واحدة. وما ساعدني أن قامتي كانت تظهرني أكبر مما أنا في الواقع فكذبت بهذا الشأن وكان أن وظفت أما في أوقات فراغي فكنت أدرس. لكن أمي، لم تتمكن من اجتياز صدمة وفاة أبي وصدمة خسران المال.. وأحست بالإذلال الشخصي.. ثم ماتت بعد ثلاث سنوات.

أمسكت روث يديه السمراوين، وقبلتهما.. تتساءل كم كان حجمهما حين بدأ يعمل عمل الرجال.. لم يتكلم أي منهما لأنهما ببساطة لم يحتاجا إلى الكلام.

فيما هي جالسة تفكر في ما قصّه عليها، أحست أنها أخيراً بدأت تفهم ما الذي يقود هذا الرجل القوي الإرادة. وفكرت كيف كان وهو في سن الثالثة عشرة.. ذلك الرجل الطفل الذي عانى من موت أبيه، فحمل مسؤولية أم لم تكن قادرة على تدبير أمرها. تصورته يناضل في عمله ودروسه، وهو يراقب تحطم قلب أمه..

لا تستغرب الآن إيمانه بأن الحياة هي اللحظات التي يعيشها وأن الحب والامان، بكل بساطة، لا وجود لهما، وإذا كانا موجودين فمن السهل انتزاعهما فجأة. مدت يدها تلمس خده فأدار عينه إليها، ابتسمت له وقالت بصوت منخفض:

ـ أشكرك لأنك شاركتني ماضيك وأشكرك لأنك استمعت الى ماضيّ.

تهللت أساريره تدريجياً فشع النور في عينيه وكان ذلك كافياً

www.elromancia.com

لإبعاد اشباح الماضي كلها. قال بهدوء بعدما أحنى رأسه يقبل شعرها:

- أنت رائعة حقاً... أتعرفين هذا روث بارس؟ أنت مميزة!

فقد قلبها عدة ضربات.. وهمست:

- أنا لست مميزة.

- بل أنت أكثر من مميزة.

عندها فقط فهمت روث ما كان قلبها يحاول ان يقول لها... إنها تحبه! وها هو يغني فرحاً بين جنبيها فيما الفراشات تتراقص في أعماقها تكاد تبلغ حنجرتها.. فابتلعت ريقها بقوة، وأطلقت دعاءً صادقاً إلى الله ليرأف بها.

لقد وقعت بحب رجل كان يمازح رجال الاعلام بأنه لن يتزوج أبداً.. إنها تذكر تماماً كيف كانت تهزأ بعجرفته ضاحكة أما الآن فولى الابتسام وعليها ألا تجعله يدرك كنه مشاعرها لأنه بكل تأكيد سيستغل حبها الطري العود وهي تأبى أن يسجّل اسمها في لائحة غزواته..

إنها تؤمن بالحب والزواج بينما يعترف هو بكل بساطة بأنه لا يؤمن بهما.

حررت نفسها من ذراعه، وقفزت عن المكتب.

- يجب أن أذهب الآن. حان موعد الباص.

نظر إليها بحيرة، وقال بصوت ثابت: «سأقلك».

- لا.. لا! سأستقل الباص.

- كلام سخيف.

وأمسك بمرفقها، فحاولت الاعتراض ولكن نظرة واحدة إلى وجهه الغاضب أقنعتها أن الوقت ليس مناسباً للوقوف في وجهه وكان أن اقنعت نفسها وهي الى جانبه خاضعة أنها متعبة وفي مزاج لا

يسمح لها بركوب الباص ليلاً. ومن الأفضل الوصول إلى المنزل أبكر مما توقعت.. و.. آه.. ما الفائدة من خداع نفسك روث.. أنت تشعرين بالاثارة لقضاء وقت إضافي معه بل أن قلبك يتراقص فرحاً لاهتمامه بسلامتك، رغم علمك بأنه كان سيبدي الاهتمام ذاته لأي موظف.

توقعت أن يوصلها رأساً إلى البيت.. ولكنه صحبها إلى مطعم فخم صغير يقبع وسط أشجار أرز متشابكة. استقبلتهما موسيقى ناعمة أثناء دخولهما إلى الجو الحميم الدافىء ذي الرائحة اللذيذة العطرة التي تناهت من المطبخ مذكرة روث بأنها لم تتناول الغداء بعد.

استُقبل وليام استقبال الابن الضال العائد من سفر طويل فاقتيد بدون أن يطلب شيئاً إلى طاولة مخصصة لشخصين وكانت طاولة مشرفة على البحر الرائع الساحر. وبعدما تلقى الساقي المهتم كثيراً طلباتهما، سكب لهما عصيراً بارداً. تنهدت روث قائلة:

- يا إلهي! لا أصدق كل هذا الاهتمام بنا.

- ألا يعجبك؟

- بلى.. امر رائع.. المكان رائع وهو يعج بالزبائن، فكيف كانت الطاولة فارغة.. أليس هذا أمراً غريباً؟

- أبداً.. لأن هذه الطاولة المشرفة على أفضل المناظر محجوزة لي دائماً.

اتسعت عيناها:

- صحيح؟ لكنني لم أرَ لوحة حجز عليها.

رد بعجرفة مثيرة:

- ليس عليها شيئاً من هذا القبيل.

- أتعني أنهم يحتفظون بها جئت أم لم تجيء؟

www.elromancia.com

ابتسم بتمتع لحماستها.

- هذا صحيح.. أليس هذا لطفاً منهم؟

مالت فوق الطاولة وقد ضاقت عيناها ريبة:

- بل هذا غباء منهم! اراهن أن لك منة على المالك، وأنه يخشاك. فهل تبتزه؟

تصاعد ضحكه المكبوت، ثم مات فجأة. وهز رأسه بحزن ساخر:

- ألا يمكنك أن تصدقي أنهم لطيفون معي لأنني ببساطة رجل عظيم؟

ارتفعت الابتسامة إلى شفتيها، وتراقص المرح في عينيها.

- آسفة.. أنا لا أريد أن أهين غرورك إنما أرى أن في الأمر خطباً ما هاماً لأنني لا أظنهم يرفضون ربح المال إلا اذا كان عندك شيء ضدهم.

تنهد: «أنت على حق وأعترف أنك أذكى مني بكثير فاعلمي أنني أملك هذا المكان، لذا هم مضطرون لمعاملتي بلطف».

كانا ينظران إلى صف طويل أمام الباب، وقد التصق رأسه برأسها وهو يهمس لها همساً. فتصاعدت الإثارة في جسدها، واجتاحتها موجات لذيذة جميلة من السعادة. أدارت رأسها ببطء إليه فإذا لا فاصل بينهما سوى شعرة واحدة فانقطعت أنفاسها وأحست ان الزمن توقف. وانتظرت.. انتظرت...

شعرت به يبتعد عنها، فلمّا فتحت عينيها رأت القسوة والسخرية في عينيه، قال ببرود:

- أنه مكان شاعري أنسى فيه مع من أجلس.. أتصدقين انني كدت أعانقك؟ وأن رغبة حارقة كانت تدفعني؟ ولكن، لماذا أرغب في عناق فتاة تملك أفكاراً سوداء عن شخصيتي؟

وقعت كلماته على قلبها كلكمة قاسية. كان وجهها ما يزال قريباً من الطاولة أما وجهه فتراجع وراح ينظر إليها عبر أنفه وكأنه سيد وعبده. احترقت وجنتاها اذلالاً فارتدت بسرعة ولكنها في سرعتها أوقعت كأس العصير، فأخذت تنظر برعب إلى السائل الملوّن ينتشر قبل أن يمتصه القماش.

راح وليام يجفف العصير صبوراً صبر أب اعتاد على رعونة طفله أما الساقي فسارع يرتب الطاولة وجلست روث تراقبهما بائسة.. وقالت غاضبة بعد ذهاب الساقي:

- أنا لم اذلّ قط كما الآن! لقد تعمدت معاملتي كطفلة.. كيف استطعت ذلك؟

- ومن سكب العصير؟ أنت أم أنا؟

- أنا. ولكنها غلطتك!

رد ساخراً: «طبعاً».

- حسناً.. هذا صحيح!

- ألأنك خلتني أقدم على معانقتك؟

- أكرهك!

ضغطت أظافرها على راحة يدها المتشوقة إلى صفعه. ولكنه قال لها بمرح ظاهر:

- اكرهيني فيما بعد.. أما الآن فاهدأي لئلا يصيبك عسر هضم!

راحت تراقبه غاضبة وهو يقطع اللحم السميك الطري الذي قدّم لهما على أطباق فولاذية لا تصدأ. كان أمامها طبق «الفيليه» الذي طلبته وفوقه الفطر الشهي.. تنهدت تنهيدة عميقة ثم التقطت شوكتها، لتدس قطعة فطر في فمها بلا اكتراث ولكن سرعان ما تحركت شهيتها.

بعدما أنهيا طبق الوجبة الرئيسي، وبدأ وليام يتناول الجبن

والفاكهة سألها:

ـ حسناً.. ما رأيك بمطعمي.. هل نجح في الاختبار؟

كان الطعام والخدمة والديكور أفضل ما يكون وكان الزبائن من علية القوم وهذا بالطبع ما أراده وليام. إنها تعرف الآن نعم المعرفة أنه لا يقبل بأنصاف الحلول، أنه بالطبع لا يحتاج إلى رأيها، ولعله ما صحبها إليه إلا ليسمع منها إطراءه... حسناً.. هي.. ستفاجئه فقالت مبتسمة:

ـ أنا واثقة أنه سيكون جيداً حين ينتهي.

ـ ينتهي؟ انه كامل!

ارتفع حاجباها الرقيقان دهشة:

ـ اووه... أحقاً؟ ظننتك تخطط لزيادة شرفة له... وإن تمت ستكون رائعة.

ـ شرفة؟

ـ أجل.. بإمكانك وضع طاولات في الخارج ليتمتع الزبائن بالشراب قبل الطعام.

ارتشفت القليل من العصير وابتسمت بعذوبة.

ـ يذهلني أنك لم تفكر في الأمر.

كانت تقصد من اقتراحها رغم جودته أن تحط من عجرفته وغروره قليلاً.. ولكنه ويا للغرابة وافق عليه.

ـ يعجبني هذا!

ادار كرسيه ليتطلع إلى صف النوافذ ثم التفت إليها يقول:

ـ يمكن إزالة النوافذ واستبدالها بأبواب منزلقة.. سأرسل معمارياً للبدء فوراً. أهناك اقتراحات اخرى؟

ـ حسناً... مكان للشواء.. بإمكانك ان تقدم الشواء في الخارج ليتناوله الزبائن. كما يمكنك أيام الآحاد إقامة مقصف طعام

مفتوح.

لمعت أسنانه وهو يضحك لها:

ـ الاقتراحات تتدفق وحدها.. أليس كذلك!

ـ حسناً.. أنت طلبتها!

ـ حقاً.. ولقد أعجبتني.. إلا الشواء، الذي سيحول المكان إلى مطعم غير رسمي.

ـ من الممكن أن تكون محقاً.. ففي المكان جو حميم... ولا نريد أن يفسده شيء.

ابتسم لاستخدامها الجدي لصيغة الجميع.

ـ لا.. لن نرغب في هذا. هل يمكن أن أضيف مرقص؟ هناك متسع كبير.

مرقص! مكان يستطيع فيه أن يحيطها بذراعيه دون تعقيدات.. إنها تكاد تحس بما سيكون. الخد على الخد.. والقلب يخفق فوق القلب. سألته: «أتحب الرقص؟».

ـ أحبه.. وأنت؟

ظهرت رغبة ملتهبة بدت في عينيه، فأشاحت بوجهها عنه. هو يحب الرقص طبعاً بل هو يحب كل ما يوفر عذراً لضم امرأة بين ذراعيه.. اية امرأة! تراجعت روث تضغط ظهرها على ظهر كرسيها، وقالت على مضض:

ـ لا بأس بالرقص.. والآن هل تمانع إن ذهبنا لقد تأخر الوقت كثيراً.

تجاهل رجاءها، وقال بخشونة:

ـ بعد قليل.. لماذا يجب أن تختلقي الأعذار للتهرب مني؟

ـ أنا لا أختلق الأعذار! المسألة كل المسألة أنني مرهقة.

تنهد بعد أن تفرس في وجهها:

www.elromancia.com

- اعذريني على أنانيتي فأنت تبدين فعلاً متعبة.

وقف، ثم ساعدها على الوقوف وحينما وقفت كانت أنفاسه تحرك شعرها وتداعب عنقها فنظرت إليه مرتجفة من لمعان عينيه الغامضتين..

قال لها: «ماذا عن ساحة الرقص؟».

- إنه مطعمك.

تحركت مبتعدة عنه، تحس بالقلق بسبب ضعفها.. كم سيمضي من وقت قبل ان يعرف ما تكنه له. ارتجفت ثانية، إنما هذه المرة خوفاً...

اقتادها الى خارج المطعم وكانت في هذه الأثناء ذراعه مسترخية بعفوية على كتفيها، كان يشدها إليه بأكثر مما هو مناسب. ما أن أصبحا في الخارج، حتى تخلصت من ذراعه، وقالت:

- أنا قادرة على السير وحدي.

لمع الغضب في عينيه ولكنه لم يقل شيئاً حتى جلسا في السيارة، وعندها التفت قائلاً بلطف:

- يبدو أنني أقول وافعل دائماً اشياء خاطئة روث ولكنني في الواقع لا أقصدها.

حدقت بائسة إلى عينيه... إنها فتاة ريفية، بسيطة صادقة لم تتعلم قط خداع أحد.. لقد تعلمت أن تكون منفتحة في كل مشاعرها وأن تكون صادقة في تعاملها مع الآخرين.

لقد أحبت وليام وما أبسط أن تخبره بمشاعرها! لكنها تعلم أنها لن تستطيع هذا يوماً. عليها من أجل سلامتها وسعادتها أن تدفن سرها إلى الأبد في قلبها. يجب ألا تسمح لمشاعرها نحو هذا الرجل بأن تتدخل فيما تعرف أنه صحيح ولائق.. وليام توير لا يؤمن بالحب أو بالزواج عكسها تماماً!

سألها بلطف حين لم ترد عليه: «ما الأمر روث؟».

هزت رأسها وحلقها الجاف يكاد يمنعها من الكلام... فتنهد بحزن.

- كلما ظننت نفسي اقتربت منك، أبعدتني عنك فجأة، صافقة الباب في وجهي..

مرر يداً مرتجفة في شعره ثم أضاف:

- هل تكرهينني حقاً؟

ليته يعلم! عندما لم ترد ارتدّ عنها وعمد إلى تشغيل محرك السيارة.. كان الصمت الثقيل خانقاً.. وحينما أوقف السيارة أمام شقتها، فتحت باب السيارة وهي تتنفس الصعداء فلاحظ ذلك وقال:

- الخلاص أخيراً!

أحست بالمرارة في صوته.. كانت قد خرجت من السيارة تقريباً حين انطلقت يده لتعيدها الى الداخل. تبادلا النظرات، فخفق قلب روث بجنون في صدرها وانفرجت شفتاها. وتصاعدت تنهيدة نحيب من حنجرتها ما إن اطبقت ذراعاه عليها.

ذابت بين يديه وبدا لها أن جسدها يطير، يذوب ويختلط بجسده. التفت ذراعاها حول عنقه، وعبثت أناملها بشعره الكث أما يداه فضمتاها بشدة وأما صوته فخرج متأوهاً:

- روث! أريدك. يا إلهي إنك تقودينني الى الجنون! أعلم أنك تريدينني أيضاً. اعترفي!

ردت بصوت متحشرج وهي تضع يديها على صدره في محاولة عقيمة لابعاده عنها:

- لا.. لا.. أنت مخطىء!

أحست بألمه وغضبه بسبب شعوره بالإحباط ثم، وبعد ان ظنت

www.elromancia.com

أنه سيتركها، أمسك بكتفيها وشدها يعانقها بوحشية.

قاومته برعب فدفعته وضربت صدره بقبضتيها. ولكن قوته كانت أعظم من أن تستطيع حيالها القيام بشيء وما هي إلا هنيهة حتى بدأ جسدها الخائف يلين.. كانت تحس بجسدها يتجاوب وكأنه لم يعد ملكاً لها. وفي اللحظة التي ظنت أن لا مجال للتراجع سمعته يتأوه بعذاب ثم يبتعد عنها قائلاً بوحشية آمرة مادّاً يده ليفتح الباب لها مجدداً:

ـ اذهبي!

ابتلعت روث ريقها بارتباك، وذهول، واتسعت عيناها ذهولاً.. وكررت بغباء:

ـ أ.. أ... أذهب؟

ـ أجل... اذهبي!

خرجت متعثرة من السيارة فسارت الى شقتها وهي تحس بعينيه تخترقان ظهرها وعندما وصلت إلى شقتها نظرت إلى المرآة فلم تكد تصدق أن هذا المخلوق المذعور الأشعث الشعر الجاحظ العينين هو هي.. تصاعدت الهستيريا إلى نفسها حالما رأت ملابسها مشعثة، وكان أحد قرطيها مفقوداً.

ارتجفت بعنف ثم اتجهت إلى الهاتف وهي تشعر بحاجة ملحة إلى التحدث إلى أمها.. التقطت السماعة وبدأت تطلب الرقم ولكنها أعادت السماعة إلى مكانها قبل أن يتم الاتصال... فما من أحد تستطيع اللجوء إليه، وما من أحد قد يفهم حبها لوليام!

فكرت في أبيها الذي كان رجلاً هادئاً غير مدّع أو متغطرس. رجل طالما طبع قبلات الحب الرقيقة على وجنات زوجته. عندها

رفعت روث أصابع مرتجفة إلى وجنتيها المحترقتين، فأمها بكل تأكيد لن تفهم.

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ هل تتزوجني؟

حينما وصلت إلى العمل في الصباح التالي كانت هيلين بانتظارها وما إن القت نظرة واحدة إلى العينين الزرقاوين الجليديتين حتى عرفت أن هناك متاعب، فلقد وقفت هيلين امام خزانة ملابس روث.. ووقفت روث أمامها حاملة معطفها الأزرق منتظرة ابتعاد هيلين عن الخزانة لتعلقه فيها.

لكن هيلين لم تشأ التحرك.. بل ظلت تنظر ببرود إلى عيني روث وعندما تكلمت أخيراً خرجت الكلمات كالفحيح:

ـ اذن.. لقد قلت لوليام إنني أبقيتك حتى وقت متأخر ليلة أمس لطبع تقارير المبيعات.

عبست روث: «لم أقل له شيئاً».

شغلت جهاز الفيديو:

ـ اذن لماذا هو غاضب..؟ انظري بنفسك!

نظرت روث إلى الشاشة الصغيرة، فإذا وليام غاضب غضباً يميل إلى المشاكسة: شعره أشعث وأكمام قميصه مرفوعة إلى ساعديه وربطة عنقه مدلاة حول عنقه. لم تكن بحاجة إلى جهاز الصوت لتعرف أنه يصيح.. كان يجمع عدة موظفين أمامه، يشرح لهم أموراً معينة وكان كلما شرح نقطة ضرب قبضة يده الضخمة في راحة اليد الأخرى. اطفأت روث الجهاز وتنهدت... لقد تحوّل وليام توير إلى شيطان متوحش، وهي الملومة على ذلك... قالت هيلين:

ـ لقد تلقيت حصتي! كان ينتظرني حين وصلت إلى العمل.

جلست روث ووضعت يديها على سطح مكتبها، تنظر بيأس إلى هيلين:

ـ ماذا قال لك؟

ـ قال إنني لا أنصفك كما قال إنني ألقي على كاهلك عملاً كثيراً وطلب مني أن أزيد أجرك وأجعله مساوياً لأجري! عرفت أنك ستفتعلين المتاعب ما إن وقع نظري عليك.. أنت تسعين إلى خطف وظيفتي مني!

ـ اصغي إليّ هيلين... ربما انزعج وليام لأنه وجدني أعمل حتى وقت متأخر... لكن...

قاطعتها هيلين:

ـ حتى وقت متأخر؟ وحتام تأخرت لإنهاء هذه الارقام؟

ـ حتى الثامنة... إنما...

ـ الثامنة؟ أكنت تنتظرينه؟ أوه.. لا تنكري... كان يجب أن تنتهي قبل الثامنة... كنت تعرفين أن وليام سيحضر ليعاين معرض النادي الاجتماعي.

ـ لم أكن أعرف.. فأنا...

تابعت هيلين، وصوتها يرتفع بحدة:

ـ أووه.. لا تظني أنني لم ألاحظ نظراتك إليه فهاتان العينان الكبيرتان الخضراوان لا تفارقانه أبداً عندما يكون هنا. ولا بد أنك عرفت بطريقة ما أنه سيكون هنا ليلة أمس.. ولهذا السبب بالذات وافقت بكل طيبة خاطر على البقاء حتى إنهاء التقارير.

ـ هل لي أن اذكرك هيلين أنني وافقت على البقاء في مناسبات عدة دون أن ألتقي به.. فلماذا تكون هذه المرة مختلفة؟

ـ لأنها كانت مختلفة... هذه المرة كنت محظوظة!

www.elromancia.com

ـ لا تكوني سخيفة!

ضحكت هيلين:

ـ لقد أصبت إصابة سيئة.. سيئة حقاً.. أنت فعلاً متعلقة بهذا الرجل.. أنت وألف امرأة سواك!

نظرت روث إليها بهدوء، وسألت:

ـ وماذا عنك هيلين.. هل أنت إحداهن؟

نظرت إليها بمكر: «ما رأيك».

ـ رأيي أن وليام ينظر إليك نظرة حسنة فقد عملتما معاً منذ فترة طويلة.

نظرت هيلين إليها باستعلاء قبل أن تبتسم بحقد:

ـ وبهذا أفوقك آنسة روث بارس الصغيرة. يوماً ما سيدرك وليام أنه بحاجة إلى زوجة تنجب له وريثاً، وأنا أنوي أن أكون المرأة التي يختارها.

نظرت روث إليها باشفاق.. فلن يكون وليام أبداً ملك أحد سوى نفسه. يبدو أن هيلين اثناء سنوات العمل معه راحت تزرع في نفسها هذا الأمل.

هزت روث رأسها بحزن:

ـ ما نوع الحياة التي ستحصلين عليها هيلين؟ حتى وإن تزوجك وليام للسبب الذي ذكرته، فهل تظنين أنه قد يقنع بامرأة واحدة؟.. إنه.. إنه زير نساء كما تعرفين، قد يحطم قلبك... فلديه مال وفير ولديه نساء عديدات.. فكيف تتمنين أن تمضي بقية عمرك مع رجل كهذا؟

كانت ضحكة هيلين مشبعة بالقسوة والازدراء..

ـ من تحاولين الإقناع بقولك هذا؟ أنا أم أنت؟

ضحكت ثانية عندما رأت وجنتي روث المتوردتين:

ـ ألم تسمعي من قبل بشيء اسمه «تسوية طلاق»؟ لست غبية، فقد لا أمتلك قلبه أبداً، لكنني سأملك شيئاً من ثروته، وأنا استحق شيئاً!

ارتجفت روث من منظر وجه هيلين البارد التعس.

انفتح باب المكتب فالتفتت المرأتان لتجدا وليام يحدق إليهما. كانت تعابير وجهه قاتمة كئيبة ولكنها لم تغير شيئاً من جمال طلعته. قال بحدة:

ـ أنقيمان حفلة نسائية سيدتاي؟

وصفق الباب وراءه، ثم التفت إلى هيلين:

ـ فيما أنت هنا تثرثرين وتتبادلين القال والقيل، كان هاتفك يرن باستمرار.

تمكنت هيلين من الرد بتوتر:

ـ أنا.. أنا.. كنت آخذ.. تقارير المبيعات.. أنت.. أنت طلبت مني أن أحضرها.

نظر وليام إلى ساعته.. وقال ساخراً بحدة:

ـ كان هذا منذ عشرين دقيقة.. فلماذا ليست التقارير على مكتبي؟

قفزت روث تفتح خزانة الملفات متجنبة النظر إلى وليام فأعطت الملف إلى هيلين التي أمسكته بسرعة وأسرعت تغادر المكتب. أما وليام فأقفل الباب وراءها، واستدار إلى روث ليسألها بهدوء:

ـ كيف حالك هذا الصباح؟

ـ بخير... شكراً لك.

أرجعت خصلة انسدلت إلى كتفها قبل أن تعود للجلوس وراء مكتبها مبتسمة وإن بقلق:

ـ وأنت؟ منزعج قليلاً.. أليس كذلك؟

www.elromancia.com

- منزعج؟ هذا وصف قليل على حالتي.. فأنا في مزاج أسود غاضب!

تقدم ليجلس على حافة مكتبها، ينظر إليها متفرساً حتى اخفضت نظرها بارتباك:

- تعرفين ماذا أصابني.. أليس كذلك روث؟

رفعت بصرها إليه حالما سمعت نبرة صوته المتوسلة.. هزت رأسها بيأس.

- أنا.. أنا.. لا.. آسفة، فأنا لا أعرف!

مد يده يمسك ذقنها ويجبرها على النظر إليه:

- أنت تكذبين..! أنا أريدك روث.. لم أرغب في امرأة قط رغبتي فيك.. لقد ضممتك في خيالي ألف مرة ومرة، وبألف طريقة مختلفة استحوذت على كياني اللعنة... اللعنة!

رفعت روث يدها تلمس يده وإذا اللمسة مكهربة، فانتزعت يدها، وهبت عن مقعدها واقفة. وقالت بصوت مرتجف:

- أنت معتاد على الحصول على كل شيء تريده وليام. فلو.. فلو وافقت على ما تريد لاكتفيت.. أليس كذلك؟ هذا كل ما تريد.. غرورك يعاني من الألم لأنني رفضت.. لا يمكنك أن تفهم أن بعض الفتيات يحافظن على أنفسهن لازواجهن فقط لأنهن يضعن الزواج في أوليات اهتماماتهن.

نظر إليها بحدة:

- يحافظن على أنفسهن لازواجهن!

رفعت رأسها متحدية: «هذا صحيح».

- أما زلت..؟ لا، لا أستغرب ذلك.. لقد شككت في هذا، ولكنني ما ظننت أن مثيلاتك ما تزلن موجودات.

اكتسى وجهها الاحمرار فهي لم تصدق أنها تبحث أمراً شخصياً

كهذا مع هذا الوغد المحتال.. اجابت بحياء:

- ما تزال لدى الكثيرات الشجاعة والقناعة في الرفض لأنهن لا يعشن فقط لوقتهن الحاضر.

- وأنت تعتقدين أنني أعيش لساعتي!

- أجل.. على الأقل.. بالنسبة.. بالنسبة للنساء.

دار حول مكتبها فوضع يديه على كتفيها.

- لكن الأمر سيكون معنا مختلفاً.. بإمكانك مشاطرتي مسكني. شاهدت منزلي، إنه كبير، فيه سأجعل حياتك سهلة، بحيث لن تحتاجي إلى العمل.

ردت بجفاء:

- أجد اقتراحك مقرفاً بمقدار ما كان يوم طرحته عليّ من قبل وليام تويرا! متى ستفهم أن لا أحد يملكني، وأنني مختلفة؟ متى ستُدخل إلى رأسك الغليظ هذا أنني لا أتنازل أبداً؟

تنهد تنهيدة عميقة وأنزل يديه، ثم مال الى الامام يضغط جبهته على رأسها:

- ستبقين مستقلة.. فكري في ما سأوفره لك من مال.

- يا إلهي ما أنت؟

- روث أنا أعجز عن منع نفسي... فرجاء وافقي.

ابتسمت له.. فهي في الواقع، لا تستطيع البقاء غاضبة منه طويلاً. بل كيف لأية امرأة أن تقاومه؟ ازدادت ابتسامتها عمقاً حين رأته يعتقد أنها تلين، فعلى ما يبدو أنه يفكر في أن اطراءه أفاده وأنها ليست سوى أصعب من غيرها وأنه رغم ذلك أقنعها.. ولكنها رفعت نظرها إليه:

- سأبقى مستقلة.. هه؟

- خذي أفضل ما في المنزل... خذي ما شئت!

www.elromancia.com

ـ وستوفر لي ثلاث وجبات طعام في اليوم؟

ـ بل سيكون لك أشهى الاطعمة وأعد أن تكون.. كل وجبة احتفالاً.

ـ وقلت إنني لن أضطر إلى العمل؟ وانك ستسهل علي حياتي؟

ـ يبدو لي الأمر أروع من أن يكون حقيقة.

ـ وسأشتري لك سيارة.

ازداد اتساع عينيها: «وسيارة».

ـ أجل.. تتراءين لي الآن فيها: في ب. أم رائعة.

تنهدت ثم توجهت إلى النافذة:

ـ اووه.. لا ادري وليام.. أنا معتادة كثيراً على الحياة وحدي وعلى أن يكون لي مالي الخاص.

تقدم ليقف وراءها ويداه تحرقان كتفيها:

ـ لكنني سأعطيك المال.. سأعطيك ضعف ما أدفعه لك هنا.

استدارت لتواجهه ووجهها متهلل بالبهجة.

ـ اوه وليام... أقبل!

وقفت على أطراف أصابعها لتجذب رأسه نحوها وتقبل خده.

ـ ما أشد ما ستكون سعادة أمي! سأكون الاولى في العائلة التي ستتزوج!

ـ تتزوج؟

كادت تقهقه لمرأى الرعب الحقيقي على وجهه وفي عينيه المصدومتين.. ولكنها ابتسمت بخبث وضربته على ذراعه تلاعبه:

ـ طبعاً! وأنت ترى أيضاً..! من كان يظن أن روث الصغيرة ستحصل على جائزة كهذه؟

راحت ترقص حوله.

ـ وسيارة ب. أم. كذلك!

أمسك بمعصميها وجذبها إلى صدره القاسي حتى احست بضربات قلبه المتسارعة، وتمنت بإخلاص ألا يصاب بنوبة قلبية:

ـ أنا لم أقل شيئاً عن الزواج!

فتحت فمها، واتسعت عيناها استغراباً.

ـ بل فعلت!

ـ بل لم أفعل!

ـ لكن.. لكنني.. سأعيش معك. سآكل طعامك، وأصرف مالك، وأقود سيارة تشتريها لي... ألا يعني هذا أنني سأكون.. زوجتك؟

ـ بالطبع لا!

ردت بارتباك «ولكن.. ولكن ماذا يعني إذن؟».

فجأة رفعت يديها إلى ثغرها وفتحت عينيها برعب زائف... وشهقت:

ـ أووه وليام، تريدني عشيقة؟

وكانت له الجرأة ليبدو متوتراً:

ـ أنا أكره هذه الكلمة.

ـ وأنا كذلك.. فهي برأيي مستهلكة!

ثم اعتلى الغضب وجهها فصرت على أسنانها غيظاً.

ـ كيف تفكر في أنك تستطيع شرائي بسيارة؟ كيف تجرؤ؟ هل تعرض عادة مثل هذه الهدية المبالغ فيها على كل.. حريمك!

ـ أنت الأولى ففي العادة يكفي وجودي.

ـ يجب أن الزمك بعرضك.. استطيع أن آخذ كل شيء دون أن أعطيك شيئاً.. وهذا أمر ممكن كما تعرف. يمكنني أن أقفل بابي في وجهك كل ليلة ولا أسمح لك بالاقتراب مني وعندها ستتعلم أنك لا تستطيع شراء كل شيء.

www.elromancia.com

فرك ذقنه براحة يده:

- حسناً روث.. لقد مرحت على حسابي وانتقمت لنفسك مني وجعلتني غبياً.. أكنت تظنين حقاً أنني أطلبك للزواج؟

- وهل للدجاج أسنان؟

التقى حاجباه الكثيفان الاسودان:

- يجب أن تعرفي.. أنني سأكون زوجاً سيئاً.

- ربما.

تظاهرت بأنها تلتقط خيطاً عن تنورتها... فرد غاضباً:

- أنت لا تثقين بي أبداً.. صحيح؟

رفعت نظرها إليه متظاهرة بالدهشة:

- قلت إنك ستكون زوجاً سيئاً.. هذه كلماتك لا كلماتي.

- ولكنك وافقت عليها.

ابتسمت بعذوبة: «أحب أحياناً أن أكون مطيعة».

- ولماذا أزعج نفسي بك؟

نظرت إليه والصدق في عينيها:

- لأنك تعتبرني تحدياً لك.. لا يمكنك تحمل رفض عروضك المغرية، أنت لا تهتم أبداً بروث بارس شخصياً.. بل تهتم فقط بجسدها!

ازداد الغضب على وجهه:

- لست سوى شيء تافه صغير، أرى أنك تضعين أهمية لا تستحقينها على نفسك.

ضحكت: «صحيح».

رد متجهماً:

- طبعاً.. لو كنت اسعى إلى حثالة في فراشي، لحصلت على ذلك مع أية امرأة.

ردت بحدة، والدموع تكاد تقفز من عينيها اللوزيتين.

- مثيلات سانتا، كيم، روندا، مائي وكيلي؟ أنا أقرأ الصحف.. وأعرف كل شيء عن مغامراتك.

ترقرقت الدموع في أهدابها كلآلىء صغيرة.. فنظر إليها بعينين متسعتين عجباً ثم قال بخشونة وقد مد يده يلمس الدموع:

- أنت تبكين؟

أبعدت يده عنها، ومسحت بجنون الدموع الخائنة.

- أنا لا أبكي.. المسألة أنك جعلتني.. غاضبة غضباً شديداً.

سحب أنفاساً متهدجة متألمة:

- حسن جداً.. سنترك هذا الأمر الآن.. لدي اجتماع مهم.

مدت يدها تصلح ربطة عنقه فبدت يداها شاحبتان امام عنقه السمراء. قالت بصوت مختنق وأناملها على الربطة:

- حسناً.

أطبقت يداه على يديها وأطبقت العينان السوداوان على الخضراء، ثم لم يلبث أن رفع يديها فضغطهما على فمه.. فترنحت.. تكاد تفقد الوعي.. فهمس لها:

- تتظاهرين بأنك لا تحبينني روث ولكنني أعرف أنك يجب أن تحبيني.

- لا!

وأشاحت بوجهها عنه، فتمتم:

- أنت تهتمين بي إلى درجة أن تصلحي ربطة عنقي.. وما كنت لتفعلي هذا لولا اهتمامك العميق بي.

كانت الكلمات جادة فاضطرت للابتسام، ففي هذا الرجل طفلٌ صغير متمرد.. أصلحت وضع الربطة أكثر وقالت:

- كنت أصلحها لوالدي، فهو ما كان يضعها كما يجب أبداً..

www.elromancia.com

ثم علّمت هذا لأخي الأصغر.

- إذن حركتك تلك ليست سوى هواية. أهذا ما تحاولين قوله لي؟

ابتلعت روث ريقها بصعوبة، ثم ابتسمت بإشراق:

- نعم دون شك.

هز رأسه، ثم ترك يديها، ودس يديه في جيبي سرواله وبعد ذلك سحب إحداهما بسرعة ونظر إلى مآقيها بصمت، ثم وضع القرط الذي أضاعته في راحة يدها:

- وجدته في سيارتي.. إنه لك... أليس كذلك؟

أطبقت أصابعها على الحلية الصغيرة:

- أجل.. شكراً لك. أعتقد أن من العسير عليك تعقب ما تتركه النساء في سيارتك عادة.

اعتلت وجنتيها بقعتان حمراوان فشد قامته منتصباً، ورد بخشونة:

- هذا لا يحدث دائماً كما تتصورين.

أوشك أن يقول المزيد ولكنه تراجع ثم ارتد على عقبيه ولم تره منذ تلك اللحظة حتى شاهدته عند الظهر يغادر المشروع وقالت لها بديهتها إنه لن يعود.

في آخر النهار أحست روث بأنها منهمكة بأكثر من طريقة، كان يومها مزدحماً بالعمل بشكل خاص، والعمل متطلب، وما زاد الأمر إرهاقاً، توقعها أن يتصل وليام.

حضرت في الشقة وجبة ولكنها لم تشعر برغبة في تناولها، فكان أن جلست إلى طاولة المطبخ تحل بعض المسائل حتى بلغت الساعة التاسعة والنصف فأقفلت الكتب، وراحت تحدق، شاردة إلى الجدران في المطبخ الصغير... وأخذت الوحدة تطغى عليها في

موجات متلاحقة متصاعدة، انها تعرف انها يمكن ان تتخلى عن أي شيء لتقضي ما تبقى من عمرها مع وليام ولكن كم من النساء أحسن بهذا الشعور نفسه.

عادت عيناها إلى كتبها.. ماذا فعلت طوال الامسية؟ إنها لا تذكر! فهو يحتل أفكارها كلها انها تستحضر في ذهنها رنة صوته ولمعان عينيه الفحميتين اللتين تتجعدان عند المآقي حين يضحك وتستحضر الشعور باللذة قربه... إنها مسحورة به أي سحر. وهذا السحر لا شفاء منه... تنهدت تنهيدة عميقة، ثم وقفت تستعد للنوم، عندما خرجت من تحت الدوش، انتفضت بسبب جرس الباب، فدست جسمها في روب الحمام وربطت الحزام حول خصرها النحيل وأسرعت ترد على الرنين المتواصل.

صاحت من وراء الباب: «من الطارق؟».

- وليام.. هل لي بالدخول أم أحطم الباب؟

فتحت الباب فوراً غير قادرة على إخفاء سرورها لهذه الزيارة غير المتوقعة. تنفست باسمة بعمق وسعادة:

- وليام.. هذه مفاجأة!

تنحت جانباً ليدخل.. فطافت عيناه فيها، تنظران الى الروب الوردي، وإلى الوجه المشعّ، والعينين البراقتين، والشعر الرطب المعلقة أطرافه على وجنتيها الورديتين. كانت قدماها حافيتين وكاحليها يطلان من تحت حافة الروب.. فابتسم بحرارة رافعاً حاجبيه الأسودين، دهشاً من تحيتها الحارة والنفت ذراعاه حولها، وأمسك بها على مقربة منه، يشم رائحة شعرها ويضغط وجهها إلى صدره، وفي الوقت نفسه التفت يداها تعانقانه، كانا متعانقين عناق من لم يريا بعضهما بعضاً منذ سنوات.

اخيراً قال بصوت أجش: «جئت في عمل».

www.elromancia.com

أبعدها عنه ليشاهد وجهها، ولكنها اندست مرة أخرى بين ذراعيه.. وسألت:

- أوه؟ ما هو؟

سار بها إلى غرفة الجلوس، وجلس فوق الأريكة ثم أجلسها قربه... بدا لها أن عينيه تكادان تفترسانها.. ولكنه فجأة، وبثبات، أبعدها قائلاً:

- روث.. أنا آسف.. لم أقصد أن يحصل هذا بل لم أخطط له.

من الواضح أنه اعتقد بأنها لن تصدقه، فقالت له بصوت يكاد يكون همساً:

- أنا... أعلم... ينتهي الأمر بنا دائماً بين ذراعي بعضنا بعضاً.

أجلسها على الأريكة وركع أمامها، ممسكاً بكلتا يديها:

- لهذا أنا هنا.. أريد أن أبرهن لك أنك ستكونين آمنة معي. أريد أن اثبت أنني قادر أن أكون معك دون.. أن أمسك بك.. أريد أن تتعلمي الثقة بي.

كان جاداً إلى درجة أنها لم تستطع إلا الابتسام فسألته بعذوبة وهي تغرق في فراغ عينيه السوداوين كالعادة:

- وكيف تقترح أن تفعل هذا؟

اشتدت قبضة يديه على يديها فأرسلتا إلى ذراعيها فقلبها موجات مجنونة..

قال وقد اكتست وجهه ابتسامة مشرقة:

- لدي عمل في ولونغون.. هل زرتها يوماً.

- أبداً.. وما شأني بها؟

- الأمر بسيط.. ستأتين معي!

اتسعت عيناها ذهولاً، ولكنها في الوقت نفسه أحست بالإثارة تكاد تحرق معدتها.

- أنا؟

بدا مسروراً من ردة فعلها:

- أجل.. سيكون هذا ليوم واحد، أنا مسافر في الصباح الباكر. أيمكن أن تكوني جاهزة في السابعة صباحاً؟

- أجل.. لكن.. لكن.. ماذا عن عملي؟

قبل طرف انفها:

- بإمكان هيلين التعامل مع أي طارىء أثناء غيابك.. تستحقين الراحة من العمل.

وقفت مرتجفة، ووقف معها ويداه ما تزالان على ذراعيها:

- أنا.. أنا.. لا أعلم ما أقول..

كانت تحاول يائسة تجاهل الإثارة المجنونة التي اجتاحتها لفكرة قضاء يوم كامل مع وليام توير، فهذا أكثر مما تستطيع أن تحلم به، وقضاء هذا اليوم في ولونغون سيجعل اليوم أشد سحراً وأروع جاذبية.

- قولي نعم!

- قلت.. إنك ذاهب في عمل.. أهناك ما تريد أن أساعدك فيه؟

- إن قلت لا فهل ترفضين المجيء معي؟ أعرض عليك قضاء يوم على ساحل ولونغون، بعيداً عن ضجيج المكتب.. سنذهب ونعود في اليوم نفسه وهذا لن يعطيني فرصة لإغوائك!

علمت أنه غضب، وأدركت ان له الحق في ذلك فهي تتصرف معه تصرف عانس عجوز متزمتة. والسخرية في الموضوع، أن لا شيء في هذا الوصف بعيد عن الحقيقة..

أجبرت وجهها على اكتساء تعابير عمل جادة:

www.elromancia.com

- سأذهب. كنت أفكر في عملي ليس إلا.. لكنك قلت إن هيلين قادرة على الاعتناء بالأمور.

مرر يديه على ذراعيها براحة:

- عظيم.. والآن.. عليك، وإن كنا لن نمكث سوى نهار واحد، أن تحملي ملابس.

نظرت إليه بريبة:

- ولماذا؟

- لأن الطقس حار.. ولأننا سنتجول كثيراً فتحتاجين إلى «شورتات»، وقد ترغبين في السباحة. لدي جناح هناك تستطيعين فيه تبديل ملابسك، أخيراً ستجوعين، وسأضطر إلى إطعامك، وإن لم تكوني راغبة في سندويشات او هامبرغر احتجت الى فستان أنيق لدخول المطعم.. هل هناك شكوك أخرى، أم اننا انتهينا؟

ضحكت روث.. كان يجب ان تعرف أن يوماً برفقته يعد بثلاثة أيام.

- لم تخبرني حتى الآن عما ستفعله في ولونغون.. ارجو أن لا تجبرني على ركوب «دولاب الملاهي» المرتفع.

أمسك بوجهها بين يديه.

- لن أجبرك أبداً على فعل ما لا تريدين، ولكنني أعتقد أننا سنجد الوقت الكافي لقليل من المرح... أولاً، أريد أن أعاين الكمبيوترات التي هناك، لأعرف ما يحتاج منها إلى بديل.

ضمها إليه بشدة:

- والآن... اخلدي إلى النوم واطلبي الراحة لتكوني نشيطة مشرقة لي في الصباح... أما أنا فأشك في أن أنام.

لكن روث نامت نوماً عميقاً بكل تأكيد، بل رأته في منامها، وعندما استيقظت في الصباح، كانت الابتسامة ما تزال تداعب ثغرها.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ خائف منها

كانت روث تنظر إلى وليام متسائلة عما يفكر فيه يا ترى؟ فمن خلال التعبير الذي كسا وجهه رأت أنه يفكر في أمور تجلب السعادة، أبعد اهتمامه عن الطريق ليبتسم لها ثم أبعد إحدى يديه عن المقود ليغطي بها يدها.

ردت ابتسامته، فأعاد يده إلى المقود، أما هي فنظرت إلى الخارج وهي لا تكاد ترى شيئاً. كانت المناظر تتسارع أمامها والسيارة تنطلق بهما إلى ولونغون، التي تعني جنة المتزلجين على الماء. تساءلت كيف سيكون يومهما هناك.. لقد قال لها إنه سيكون يوم عمل، ولقد صدقته ولكن ما كان يخيفها.. هو نفسها، إنها تحبه كثيراً.. وتريده.. وهي بأمس الحاجة إلى أن تكون قربه، كما يكون الحبيبان عادة.

وهنا تكمن المشكلة... كيف ستتمكن من إبقاء سرها مكتوماً وهي ستمضي يوماً كاملاً بصحبته، يا الله...:

إنها ليست المرأة الخارقة!

كان قد وصل إلى شقتها أبكر مما توقعت. ومع ذلك كانت مستعدة منتظرة مع حقيبة صغيرة. حينما وجدت المازاراتي الحمراء، خفق قلبها بجنون في صدرها، وجف فمها وحلقها. وعندما رن جرس الباب، قفزت وكأنها صدمت، فكان أن عجزت عن فتح الباب

بضع لحظات، وما إن تم لها هذا حتى أحست بكل ذرة من جسدها تقفز حبوراً لرؤيته... ودعت: يا رب العالمين انقذني من نفسي ومن رغباتي الشريرة!

دلف إلى الشقة فقبل خدها.. علمت لماذا اختار خدها. كان يريد أن يعلمها أنه قادر على كبح نفسه.. ولكن ما لم يكن يعرفه أن قبلة عادية بريئة كهذه ألهبت النار في عروقها.

ـ تبدين جميلة روث.. (قال لها).

أحنت رأسها حياء، وقد أثارتها هذه الملاحظة البسيطة إلى أبعد الحدود..

كانت قد حارت في ما ترتديه.. ماذا ترتدي المرأة عادة حين تنطلق في رحلة مع الرجل الذي تحبه سراً؟ أخيراً اختارت ثوباً بسيطاً ابيض اللون بلا أكمام، ذا إزار أحمر حول خصرها. كان ماكياجها الوحيد لمسة خفيفة من أحمر الشفاه، أما شعرها فأرجعته إلى الخلف تثبت الأجنحة الكستنائية الصهباء بدبابيس على شكل الاصداف. بدت، جميلة، صغيرة، ومعرضة للمخاطر. وحده الرباط الاحمر على خصرها، يدل على أن أفكارها قد لا تكون بريئة كما هو مظهرها الأبيض. سألته مقطوعة الأنفاس:

ـ أتود كوب قهوة أو شيئاً من هذا القبيل قبل أن نخرج؟

ـ لا.. شكراً لك... أريد الانطلاق في أسرع ما يمكن. هل تتوقين إلى هذا اليوم؟

ـ أوه.. أجل.. كثيراً.

ابتسم: «جيد، لكنك تبدين متوترة قليلاً.. أهناك ما يزعجك»؟

ضحكت بصوت متوتر رفيع، حتى على اذنيها:

ـ أعتقد أنني لا أستطيع منع نفسي من التفكير في أنني محظوظة لحصولي على وظيفة رائعة كهذه.

www.elromancia.com

ـ وعلى رئيس رائع؟

ضحكت ثانية.

ـ أجل.. وهذا أيضاً.. أحس.. أنني مهمة.. آه، ستتأثر عائلتي كثيراً حين تعلم أن عملي يوفر لي رحلات عمل.. سيظنون أنني أدير المؤسسة.

ضحكت ووضع ذراعه على كتفيها وقال مازحاً:

ـ حسناً.. طلبت منك أن تكوني شريكتي في عدة مناسبات.

سارعت تهرب من تحت ذراعه:

ـ سأفعل هذا اليوم.

قال بصوت هامس: «لم أقصد الشراكة في العمل».

نظرت إلى عينيه مباشرة:

ـ بل أنا قصدت هذا. وإن كنت تخبىء لي شيئاً...

أصمتها بحركة تدل على نفاذ صبر.

ـ كنت أمزح.. وإن كانت هذه الرحلة ستكدرك، فلا داعي أبداً لمرافقتي.

أمسك الرعب بخناقها، فردت بسرعة:

ـ أوه.. لا. أريد أن أذهب!

يا إلهي! وكأنني أتوسل إليه! إذا أصبحت هكذا الآن فماذا سأكون عليه حين يفقد اهتمامه بي؟

لمعت صورة هيلين في ذاكرتها، وارتجفت.. هل ستصبح قسمات وجهها قاسية مريرة، وعيناها كقطعتي ثلج خضراء؟

التقط حقيبتها، وجرّب ثقلها:

ـ هيا بنا نذهب.. حقيبتك خفيفة.. تعتقد النساء عادة أن من الضروري حمل خزانة كاملة معهن.

ـ لكنني حملت معي خزانتي كاملة!

حين ضحكت كانت ضحكتها، غنية، مرحة فاضطر للانضمام إليها، وكان أن بددت ضحكاتهما التوتر. سيكون يوماً رائعاً، يوماً تأمل ان تحتفظ بذكراه إلى آخر العمر.

ها هما الآن، يوشكان أن يصلا إلى ولونغون وكانت كلما قطعا كيلومتر واحد تزداد إثارتها.. راحت تتساءل كيف هو جناحه، وماذا سيتكلمان ويفعلان في تلك المنطقة حين يتناولان العشاء. سألته دون أن تلتفت:

ـ ما شكل جناحك؟ أهو كبير؟

ـ كبير بما فيه الكفاية.

مرت كيلومترات أخرى قبل أن تسأل ثانية:

ـ كم غرفة فيه؟

ـ أربعة.. لكل منها منظر يشرف على المحيط.

ـ أهو على الشاطىء مباشرة؟

ـ إن اقتربت بعض الشيء أصبحت في الماء.

ـ يبدو لي رائعاً.

ـ وأنت تبدين منشنجة خائفة.

تنهدت: «فعلاً! أراني اشعر بالذنب لأنني غبت عن عملي ودروسي. لدي محاضرة الليلة في الثامنة. أتظن اننا سنعود قبل الثامنة؟»

ـ لا يمكن.. كما لن يتوقف العالم إذا فاتتك محاضرة.

ـ أعرف.. ولكن هذا سيلطخ سجلي النظيف.. فأنا لم أغب عن محاضرة واحدة منذ بدأت الدراسة، ولم أغب عن العمل أبداً. وهذا أمر ليس سيئاً... هه؟

ضحك: «بل هو الكمال عينه».

ضحكت بدورها.

www.elromancia.com

- ربما ليس الكمال إنما يقاربه. فأنا حتى عندما أكون مريضة أذهب إلى العمل وإلى المحاضرات، وأظنني أستحق هذه الراحة القصيرة.

- بل تستحقين رحلة الى الكاريبي.

ضحكت على ما رأته على ملامحه من جد.. مرت دقائق اخرى قبل أن يقول لها:

- على أي حال سجل عملك ما زال نظيفاً.. فأنت رسمياً في رحلة عمل.

- حملت معي دفتر ملاحظات وقلم. لم أعلم ماذا أحمل معي. كان يجب أن أسألك.

- دفتر وقلم يكفيان.. ولو كنت بحاجة إلى شيء محدد لقلت لك.

لم ترد روث، فقد كانت تنظر إلى يده الكبيرة وهي تداعب يدها منتبهة وإن بذعر إلى المشاعر التي تسري في كيانها.. كانت تعرف حين رفع يدها إلى شفتيه أن عليها نزع يده عنها، وتمتم:

- انظري أمامك روث.. فهناك ولونغون.

بدت ولونغون أمامها بكل مجدها وإشراقها. المياه الزرقاء البراقة تغسل الشواطىء الرملية البيضاء، أما أشجار النخيل الاستوائية فيرنحها النسيم العليل. كانت مبان لشقق حديثة ترتفع على طول الخط الساحلي، ترتفع إلى السماء الزرقاء الصافية. وكان السواح والسكان يتجولون بأزياء ملونة مبهرجة، في شوارع مخضرة مزهرة.. وكانت دراجات هوائية لراكبين، عربات لها محركات صغيرة، وحمير صغيرة الحجم، وسيارات ميني غريبة الطراز تنسل في الازدحام الشديد الذي لا يكاد يتحرك.. ازدادت إثارة روث وهي تستوعب الجو: يا لها من منطقة!

توقف وليام أمام مبنى أبيض لامع يحيط به مناظر وحدائق غناء فتراقصت عينا روث في رؤية تنسيق الشجيرات المزهرة الرائعة. كانت أوراق شجر خضراء دكناء تشكل المنظر الخلفي لشلالات ونوافير ذات ألوان مختلفة وأشكال متغايرة وكان النخيل المروحي يتأوه ويترنح وإلى جانبها قبعت أغصان الياسمين الأحمر، وأشجار (فرانجيباني) المعروفة (بالفتنة) وأزهارها الجميلة الشمعية اللون تملأ الهواء برائحة العطر الاستوائي الرائع.. أسندت روث رأسها إلى ظهر المقعد فتطاير شعرها على الجلد الأنيق، وأطلقت تنهيدة حارة راضية.. وقالت بصوت منخفض:

- لا أصدق أنني هنا... إنها فعلاً منطقة رائعة.

- ألم تأتي إلى هنا من قبل؟

- لا.. إنها المرة الأولى.

- إذن.. يشرّفني أن أكون أول من يرشدك فيها، مسرورة لقدومك؟

- أجل..

كانت مسحورة بقربه منها، وبيده التي مدها ليداعب شعرها، وأحست بأن جسدها يميل نحوه، وكأنه ينجذب بفعل قوة مغناطيسية لا تقوى على مقاومتها... في أذنيها هدير أقوى بكثير من هدير الأمواج القريبة.. ظنت أنه سمعها، فقد كان قريباً جداً.. بل قريب حتى العذاب.

تأوهت: «وليام».

امتدت يدها إلى وجهه تلاحق أناملها خط فكه القوي بحب. أمسك باصابعها الوردية وقرّبها من شفتيه.. مما أرسل موجات عميقة إلى كافة اجهزة جسدها.

فجأة انسحب، وقال بصوت متجهم:

ـ تعالي روث.. سأصحبك إلى الشقة في أعلى المبنى لنتناول فيها الفطور.

خرج من السيارة واستدار ليساعدها في الخروج. كان يتصرف وهو متجهم، فخشيت أن تتكلم.. أحست انه بطريقة ما، كان يتجنبها.. كما احست بأن الشمس الشديدة الوهج تحرق بشرتها التي بردت فجأة. لفت ذراعيها حول صدرها وارتجفت.. عندما جاء رجل لينقل السيارة إلى موقف تحت المبنى أمسك وليام ذراعها وقادها إلى المبنى عبر مدخل جميل الديكور، ومنه إلى المصاعد.. وفي هذه الأثناء لم يتكلم أي منهما.

جال بها وليام قليلاً في الجناح، وكان فعلاً يعرفها إلى عالم آخر.. فما من شيء فاخر إلا وشمله هذا الجناح. كان الديكور رائعاً روعة لا مثيل لها فلكل غرفة نوم من الأربعة حمام خاص وشرفة خاصة تطل على المحيط وكانت غرفة الطعام تتسع بسهولة لما يزيد عن عشرين شخصاً. وأما غرفة الاستقبال فتمتد على طول الشقة ثم تمتد إلى شرفة لها منظر رائع يطل على المحيط والأقنية المائية.

وفي هذه الشرفة جاكوزي وسونا قربهما كراسي طويلة ومظلات تحمي الجالس من أشعة الشمس ولعل ما أكمل الصورة الرائعة تلك الأوعية التي حوت نباتات رائعة.. وقفت روث وسط هذا كله وهزت رأسها عجباً.. لوليام جنته الخاصة.. هنا في هذا الطابق الأخير من المبنى.. ليت عائلتها تستطيع رؤيتها الآن!..

التقط وليام حقيبتها، فلحقت به إلى احدى غرف النوم الضخمة المزينة باللون الوردي.. أحست انها «أليس في بلاد العجائب» وأنها في أية لحظة ستستيقظ من هذا الحلم الخيالي...

نظر وليام إلى ساعته: «سأتصل وأطلب الفطور».

ـ تتصل لطلب الفطور؟ أتعني أن في المبنى مطعماً؟

ـ عدة مطاعم.. ماذا ترغبين؟ لحم وبيض، ام اومليت؟

لم ترد روث... بل جلست فوق السرير الذي كان مرتفعاً ارتفاعاً عجزت معه قدماها عن الوصول إلى الأرض. راحت تلوح بساقيها جيئة وذهاباً، وقالت بمرح وهي غير قادرة على مقاومة إغراء القفز فوق الفراش:

ـ ما أروع هذا.

راقبها وليام بصمت تغمره التسلية، وحدها عضلة صغيرة على فكه، أشارت إلى مدى الكبت الرائع الذي يمارسه على نفسه لمنعها من الانضمام إليها فوق السرير.

أخيراً قال لها:

ـ روث.. توقفي عن العبث وقولي ماذا تريدين من طعام.. يمكنك طلب ما تريدين.. مقانق وبيض...

قفزت فوق السرير للمرة الأخيرة ثم إلى الارض. وسألت بشوق:

ـ ألديهم فطائر محلاة؟

ابتسم لها... وعيناه لا تفارقان هالة شعرها البني الأحمر.

ـ أعتقد هذا.. كيف تحبينها؟ مع الحامض والسكر؟

هزت رأسها:

ـ لا.. بل مع شراب القبقب.

ضحكت بخجل:

ـ أشعر وأنا محاطة بهذه الفخامة كلها أنني قادرة على طلب ما أتمنى وأحصل على ما أريد.

ـ ملكة ليوم واحد.. هه؟

ـ الرائع في الأمر أنها ليوم واحد، وإلا أفسدني الدلال.

رفست حذاءها من قدميها وتنهدت بسعادة حين انغمست

أصابعها في عمق السجادة الفاخرة... فداخل شوق رقيق عمق عيني وليام.. ثم، فجأة، ارتد على عقبيه خارجاً من غرفة النوم. فتحت روث حقيبتها، وأخرجت شورتاً أخضر مائلاً إلى الصفرة وبلوزة تناسبه.. هذا ما سترتديه الآن أما الاصفر الآخر فسترتديه في العشاء. كان ثوب السباحة يشبه لونه لون المحيط الذي كان يومىء إليها من الشرفة الكبيرة، لقد قال لها وليام إن هناك وقتاً للسباحة ولكن كيف لا يسبحان وهذا المسبح الدافىء يدعوهما إليه.

علقت ثوبها في الخزانة الطويلة ثم دست ما تبقى من ملابس في الأدراج. وبعد ذلك خرجت تدندن بسعادة تفتش عن وليام فقالت له عندما رأته واقفاً على الشرفة الكبيرة ينظر إلى المحيط:

ـ أفرغت حقيبتي من الثياب، هل طلبت الفطور؟

ظل وجهه منصباً على البحر.

ـ أجل.. انه في الطريق إلينا.

لمست ذراعه وسألت بهدوء:

ـ ما بك وليام؟

التفت إليها، فشاهدت التوتر في عينيه، ولمّا نظر إلى يدها، أسرعت تبعدها عن ذراعه شاعرة بالبرودة تغلف قلبها.. تركها تقف وحدها على الشرفة مع المنظر الخلاب وغاب في الشقة.

سمعت صوت جرس الباب، وعلمت أن الفطور قد وصل ولكنها فقدت شهيتها. ولمّا ناداها وليام انضمت إليه على مضض في غرفة الطعام.

أعدت المائدة لشخصين في وسطها وضع طبق كبير، اصطفت

فوقه قطع الفطائر المحلاة.. وقبع قربه ابريق كبير من عصير القبقب. كان وليام على وشك أن يصب العصير في الكؤوس حين دخلت.. فترك الابريق ليمسك لها الكرسي.. فجلست ثم فرشت المنديل الأبيض الناصع على حجرها، وغضت النظر. كانت تصرفاته معها رسمية.. مقتضبة، فرغبت في ألا ترى عينيه، لم يكد اليوم يبدأ وها سحره يزول.

جلس وليام قبالتها وحينما شعرت به يراقبها، رفعت رأسها محاولة بيأس أن تبتسم ولكن العضلات التي تجمدت في وجهها رفضت التحرك. ولم يساعدها بشيء.. وبدا لها أكثر توتراً منها.. أين الخطأ؟ فتشت في عقلها عن تلميح أو بادرة فلم تجد من مشكلة سوى الفطائر المحلاة. لقد اقترح عليها اللحم والبيض، النقانق والبيض ولكنها اصرت على الفطائر المحلاة وعصير القبقب.. وما كان يجب أن تفعل هذا.. إنها... رفعت صوتها:

ـ ما كان يجب أن أطلب الفطائر المحلاة.. أراهن أنك لا تحبها.. أنا آسفة وليام... أنا...

رفع حاجبيه دهشاً لانفجارها بالكلام فجأة:

ـ ولكنني أحبها.

ـ تحبها؟

ـ طبعاً... ولولا ذلك لطلبت شيئاً آخر!

وضع قطعتان في طبقيهما.. ولكنه حين عاد ليرفع إبريق العصير، داخلها الاستغراب من رؤية ارتعاشة يديه.

أخيراً فهمت!

لا لوم عليها أبداً فوليام تويز.. الرجل العابث، السعيد

www.elromancia.com

الأوقات... بكل بساطة.. خائف!
خائف منها!
فكرت بفرح غامر وسعادة مفرطة: «إنه يحبني!».

* * *

٩ ـ قلب في الشارع

رغبت روث في أن يدوم الفطور إلى الأبد، فما بدا لها وليام قط أكثر اهتماماً وأشدّ سحراً، كان يراقبها تأكل، وهو لا يكاد يأكل وكان حديثهما مستساغاً ولكنه منصب على العمل، ولم تمانع في هذا. فقد رغبت في سماع خطط التوسع خاصة منها تلك المتعلقة بمشروع المراهقين.

ـ سيأتي ثلاثون مراهقاً إلى المشروع بصورة مستمرة.. ولقد طلب بعضهم الاذن لأصدقائهم.

ـ هذا أمر رائع وهو يثبت أنهم يتمتعون فعلاً.

هز وليام رأسه.

ـ ويثبت كذلك شيئاً آخر. هناك حاجة إلى فتح مصانع تساعدهم على استخدام أوقاتهم بما هو مفيد. ستدهشين لو عرفت كم من مراهق يذكرني بنفسي وأنا في مثل هذا العمر.. حدثت في الأسابيع القليلة الماضية معجزات في الشخصيات الأكثر عدوانية بينهم، وقد كدت مرة أو مرتين أطلب ايقاف كل شيء... ولكنني الآن سعيد لأنني لم أوفق.. فلقد اثبت أسوأهم أنه أذكاهم.

ـ أظن أن تصرفهم يتعلق مباشرة بالإحباط، فلديهم المقدرة لدخول الجامعة ولكنهم يعرفون أن عائلاتهم لا تستطيع إرسالهم. والوظائف الجزئية صعبة، وتكاليف المعيشة ارتفعت بشكل مأساوي، وبات من العسير الالتحاق بالجامعة والعمل دواماً كاملاً.

www.elromancia.com

إن التحاق الفتى بالجامعة قد يكون لبعض العائلات تضحية كبرى.

كانا قد أنهيا قهوتهما فوضعا الفنجانين بعيداً، وجلسا متقابلين عاقدين أذرعهما على الطاولة، أما رأساهما فكانا متقاربين أثناء النقاش.. ولكن ما إن جاء البواب ليأخذ الاطباق حتى نظر وليام إلى ساعته.

- إنها الحادية عشرة! تحدثنا أكثر من ساعتين!

تحققت روث من ساعتها فوجدت أن الأمر صحيح. كان وجهها متورداً من النقاش وعيناها لامعتين فهبت عن المائدة.

- سأغير ملابسي.. لن أتأخر إلا دقيقة.

- أشعر أنني كريم اليوم، لك ثلاث.

ولكنها تنازلت وعادت في دقيقتين. كان وليام يتحدث هاتفياً ولكنه حين نظر إليها، فشاهد مظهرها الجميل منعكساً أمام باب الشرفة المفتوح أنهى مكالمته بسرعة وطافت عيناه ببطء على جسدها النحيل:

- إلى أين تظنين نفسك ذاهبة بهذه الثياب؟

اتسعت عيناها دهشة.

- إلى المدينة! طلبت مني ارتداء شورت وقميص.

- متى قلت هذا؟

- ليلة أمس قلت إنني سأكون أكثر راحة به.

عبس بشدة ومرر يده في شعره.

- كان هذا ليلة أمس.. ارتدي سروالاً طويلاً.

- لم أحمل معي واحد. كما أن الطقس حار.. وهذا الثوب رائع وخفيف... ألم تقل إنك تريد أن أشعر بالراحة.

- قد تشعرين أنت بالراحة أما أنا فلا.. فلو مررت بالمدينة بهذا اللباس لتوقف كل شيء عن العمل!

رفعت رأسها إليه تبتسم.

- أتحاول القول إن جسمي فتان وليام تويز؟

وضع يديه على كتفيها وأدارها إلى غرفة النوم.. ثم دفعها بلطف:

- عودي إلى ارتداء الفستان الذي كنت ترتدينه قبل قليل.

ولكن هذا لم يكن كافياً لجعلها تفعل ما قيل لها، فالتفتت إليه تواجهه.

- سأرتدي الفستان، بعد أن ترد على سؤالي.

وضع يديه في جيبيه، ونظر إليها مكشراً: «أي سؤال؟».

تمتمت بخوف: «لا شيء! سأذهب لأبدل ملابسي».

ناداها: «روث».

استدارت: «نعم».

- رداً على سؤالك أجيب أن كل انش فيك هو الجمال عينه.

تراقصت ابتسامة الرضى على قسماتها الجميلة.. لم تكن تهتم ما إذا كانت جميلة حقاً أم لا. يكفي أن يراها وليام جميلة.. لقد أطراها من قبل ولكنها تعلم هذه المرة أن الاطراء مختلف.. قالت تعيد له الاطراء بكرم:

- وأنت لا بأس بك كذلك.

صاح بها:

- اذهبي وغيري ملابسك روث.. أنت تضيعين وقتي.

شحبت وجنتاها فابتلعت ريقها بصعوبة لأنها شعرت بما كان يجري بينهما.. حتام سينكر مشاعره.. تسللت دموع اليأس من عينيها، وقالت ترمش بعينيها:

- آسفة لأنني أضيع وقتك ولكن هل لي أن أذكرك وليام أنني جاهزة! وأنك أنت من طلب مني حمل الشورت والقميص وها انا

www.elromancia.com

احاول جاهدة أن أرضيك.

وضربت الأرض بقدمها دليل اليأس.

تقدم منها خطوات ولكنه توقف على بعد ذراع.. كانت عيناه عاصفتين كالسماء الملبدة بالغيوم في الخارج، لقد تسللت غيوم سوداء غير مرئية إلى سماء مظلمة.

شتتت رعدة عنيفة الصمت الذي أمسك بهما. وحين لمع البرق، أحست به يصيب قلبها.. فشهقت:

- الشيطان يعتني بنفسه!

سرعان ما علت رعدة أخرى أقوى وأشد في الجو المكفهر، فذعرت كحمامة وجلة. فمدّ وليام يده إليها ولكنها تراجعت تلف ذراعيها حولها.

- روث... أرجوك..

ردت دامعة العين.

- لقد تكلمت السماء عنك وليام فحصلت على العذر الذي كنت تنتظره.. ستقول إنني لن أستطيع مرافقتك خشية أن أبتل.

اصطكت أسنانها إنما بما ليس له علاقة بالبرد أو بالريح الشديدة التي تدفقت من باب الشرفة المفتوح.

صاح بها:

- لا تكوني سخيفة... أنا لم أتسبب بالعاصفة!

نظر إلى الأبواب المفتوحة التي راح المطر يندفع منها إلى الداخل فأسرع يقفلها.

لم يكن الصمت الذي تبع رومانسياً، بل كان بائساً، محبطاً، لا يقطعه سوى دوي الرعد ولمعان البرق المنذر بالشرّ. فجأة ابتسم، ومرر يداً مرتجفة في شعره.

- أتظنين حقاً أن لي سيطرة على الطقس؟

ردت بصوت منخفض كالفحيح:

- أجل.. وأنا من أضعت وقتي في وضع اماني فوق النجوم!

عندما قالت هذه الكلمات هرعت إلى غرفة نومها، تقفل الباب وراءها وتتكىء إليه حيث كانت، أنفاسها تخرج شهقات قصيرة متتالية معذبة. وبينما كانت تصغي إلى الحركة في الشقة سمعت صوت باب يُصفق، فهبط قلبها إلى الحضيض. هل ذهب حقاً؟ حين فتحت باب غرفتها كانت الشقة ممتدة أمامها بفراغ مؤلم.

انخفضت الحرارة كلما اشتدت حدة العاصفة ولكن روث لم تشعر بالبرد أثناء تجولها يائسة من غرفة إلى غرفة.. صحيح أنها لم تكن مسؤولة مباشرة عما حدث بينهما إلا أنها تعلم أن جزءاً كبيراً من اللوم يقع عليها.. كان يقاوم مشاعره بعنف، وما كان يجب أن تنفجر في وجهه.. إنه يتأرجح على شفير احساس جديد.. وهي بكل غباء وضعته على الجهة الخاطئة من الحب.

أوصلها تجوالها الحائر، إلى غرفته.. إنها غرفة رجل دون أي شك، الاثاث فيها من خشب السنديان والمصابيح فيها مرمرية سوداء، والألوان كلها عاجية والسجاد كذلك.. أما الأغطية فبنية غامقة تمتد فوق الفراش الواسع الضخم، وعلى الطاولات الصغيرة كتب وكومبيوتر وأحدث ما اخترعته التقنية الالكترونية. مررت روث أصابعها فوق الكتب والطاولات والمصابيح ثم الأغطية. ثم مدت يدها أعمق تعبث بالوسائد التي استراح عليها رأسه.

لم يكن قد حمل معه ثياباً وعندما فتحت الخزانة علمت السبب.. فقد كانت مكتظة بالبدلات، والسترات الرياضية، والسراويل والقمصان. وفي الخزانة قسم آخر كشف لها عن صفين من الأحذية، الرسمية والرياضية. فيما كانت تعلق فستانها، تساءلت هل بالامكان ملء هذه الخزائن والادراج الضخمة.. أما الآن وهي

www.elromancia.com

تنظر إلى ملابس وليام فعلمت أن هذا ممكن بكل تأكيد!

كان يعبق بالحمام الملاصق، عطر ما بعد الحلاقة، وبودرة «التالك» فتساءلت كيف هو الشعور بالانتماء إلى هذا المكان، على أساس أنها السيدة وليام توير... هل سيقسمان وقتهما بين هذا المكان والقصر في سيدني؟ أم سيستخدم هذا الجناح فقط في العطلات؟ لمحت صورتها في المرآة، فلم تستطع سوى أن تبتسم.. كانت تبدو رفيقة حالمة، وكأنها بطلة فيلم رومانسي صدمها الحب.

تنهدت، تنظر إلى ساعتها. لأن العاصفة ما تزال صاخبة في الخارج قلقت على وليام. أين هو؟ ارتجفت تفرك ذراعيها بيديها وقد شعرت بالبرد، فعرفت لأول مرة ما هو البرد من الداخل ومن الخارج. كانت الريح القاسية تهب دافعة المطر إلى الشرفة المسقوفة مبللة كل شيء في طريقها.. أما الرؤية فكانت معدومة لذلك أقفلت الستائر السميكة، واضاءت المصابيح فساعدها ذلك على تبديد الجو المكفهر.. ذهبت إلى المطبخ وفتحت البراد، ثم أقفلته.. وفعلت الشيء نفسه بالفرن والخزائن.. لم تفعل ذلك إلا لتمضية الوقت وكان أن أوصلها قلقها إلى المكتبة فأخذت تقرأ عناوين مئات الكتب.. ولاحظت، دون وعي، أن ليس هناك ذرة غبار في أي مكان.. فجأة تحول المنزل الجميل الفخم إلى سجن بارد مخيف.

قالت بصوت مرتفع للجدران الفارغة:

ـ يجب أن أخرج من هنا.

نظرت إلى ساعتها، التي كانت تنظر إليها كل ثلاث أو أربع دقائق فإذا بها رغم ذلك تدهش من رؤية الوقت يشرف على الرابعة.. في البداية انصب اهتمامها على وليام القابع في العاصفة خارجاً.. ثم تحول اهتمامها تدريجياً إلى الشعور بالذنب لأنها أحست أنها المسؤولة عن خروجه.. ثم امتلأ قلبها ألماً وجرحاً لأنه

تركها وحدها دون حتى اتصال ليشرح لها سبب تأخره ومكان وجوده، أو حتى عودته.

افسح الألم الطريق للغضب.. لقد هجرها بطريقة جافة.. لذا قررت ألا يراها هنا حين عودته وفعلاً أسرعت تعد نفسها للمغادرة فنزعت عنها الشورت وارتدت الفستان الذي كانت تريد ارتداءه عشاء، ووضعت مكياجاً خفيفاً، وسرّحت شعرها الذي راح يلمع. كانت العاصفة ما تزال قوية في الخارج، ولكن هذا لا يهم.. فلن تذهب بعيداً.. بل لن تذهب إلى الخارج. ألم يقل وليام إن في المبنى عدة مطاعم. ستختار أحدها وتتعشى وحدها وإن لم يعد حين تنتهي تخطط للخطوة التالية.. اما الآن فتأمل أن يعود فلا يجدها فيقلق عليها حتى السقم كما قلقت عليه طوال بعد الظهر.

تحققت من حقيبة يدها.. أجل.. معها ما يكفي من مال. قد يكون القلق عليها وعلى سلامتها الحجر الثقيل الذي يحتاجه ليدرك مدى حبها له. وخزها ضميرها بعض الشيء وخزاً لم يكن كافياً ليغير رأيها.. على الفتاة أحياناً أن تفعل ما تريد.

كان المطعم الصغير مكتظاً على الرغم من أن الوقت ما زال باكراً ولكنها رأت على ما يبدو أن سكان الأجنحة الفاخرة قرروا أن من الحكمة البقاء داخل المبنى في مثل هذه الأمسية المتجهمة، بدلاً من السعي وراء المتعة على الساحل الشهير.

ـ طاولة لشخص واحد آنسة؟

رفعت نظرها إلى الساقي وهزت رأسها.

ـ أجل.. أرجوك.

بدا لها أن جميع الزبائن كان برفقة شخص آخر، ولكنها لم تأبه بل راحت تجيل النظر في ما حولها فإذا بها ترى باحة رقص وعدة راقصين يتماوجون مع أنغام فرقة صغيرة، وأثناء جولة عينيها هذه لم

www.elromancia.com

تلاحظ نظرات الاعجاب التي كانت تلاحقها وتلاحق وجهها الجميل.

ـ من هنا أرجوك.. آنسة.

لحقت به إلى طاولة صغيرة مستديرة تقع في زاوية الغرفة. كانت شمعة صغيرة تشعّ بصمت في مصباح زجاجي صغير. حدقت إليها وإلى نورها الضئيل، الذي أضاء رغم ضآلته الدموع في عينيها.. من السهل جداً سحق هذا النور الصغير وتدميره بسهولة كما دمر وليام قلبها.

ارتجف النور وكاد ينطفىء.. فحبست أنفاسها خشية أن تتسبب أفكارها بانتزاع هذه الشعلة الصديقة.. أحاطت القنديل الزجاجي الذي يحوي الشمعة، بيديها وقربته منها.. فعادت الشعلة من جديد لتسحرها وأجبرت صورة وليام على أن تحل محل الشعلة حتى أصبح هو من تمسك بيديه.

ظهر الوجه الوسيم مبتسماً لها، وظهرت لها عيناه السوداوان القاتمتان تتراقصان بمرح وبانت لها أسنانه البيضاء تلمع في وجهه الأسمر، وهمست:

ـ أوه... وليام! أين انت؟ كيف يمكنك أن تكون قاسياً فتدعوني ثم تهجرني؟

ظهر لها الساقي المنتظر طلباتها، فدفعت المصباح إلى منتصف الطاولة الصغيرة المستديرة وشكرت الظلمة التي أخفت وجنتيها القرمزيتين.. ولكن الساقي الذي استغرب أن تتحدث شابة جميلة إلى القنديل، كان من اللباقة بحيث لم يظهر هذا الاستغراب..

بعدما سجل لها الطلب.. وعاد بعصير الفاكهة الذي طلبته سألها اذا كانت ستطلب العشاء فتطلعت إلى صف من الطاولات أمامها فوجدت الجميع يتناول «الكركند» والسلطة.

ـ كركند وسلطة.. ارجوك.

سجل الساقي الطلب، وما هو إلا وقت قصير حتى عاد إليها به، وسألها بأدب:

ـ أتودين شيئاً آخر آنسة؟

كانت تعلم أنها قد فقدت الشهية ولكن عليها أن تطلب شيئاً فلا يعقل أن تشغل المائدة دون أن تطلب شيئاً.

ـ كوب عصير آخر.

سيلهيها الشراب والطعام بعض الوقت. ألقت نظرة على الساعة فإذا بها ترى أنها غادرت الشقة منذ ساعة فقط.. وبدأت تأكل.. ومرت ساعة اخرى قبل أن تطلب الفاتورة لتغادر بعد ذلك المطعم وهي تشعر بالوهن من الطعام والشراب اللذين دستهما غصباً في معدتها المتقلصة.

ما إن خرجت إلى مدخل المبنى المشعّ بالأنوار حتى أدغشت عيناها فبعد الأنوار بالداخل لم تستطع رؤية ما حولها والأهم أنها لم تشاهد وليام والشقراء المذهلة التي ترافقه. كانا يضحكان وينفضان المطر عنهما.. ولكنها عرفت بوجوده من صوته. فما من رجل يملك هذا الصوت العميق الهادىء، كما أنها تعرف ضحكته ولو وسط ألف ضحكة. إنها الضحكة التي تجعلها تبتسم حين لا تريد الابتسام والتي تدعوها لتنضم إلى الضحك حتى تصبح ضحكتها أشد قوة وحماسة من ضحكته. ارتجف قلبها المسكين، ثم اصطدم بضلوعها وكأنه يتحطم فأمسكته بيديها فيما راحت تكافح لتتنفس.

ولكنه لم يرها. كان مشغولاً جداً بالشقراء المبللة فلم يلاحظ الجسد المسمر المختبىء جزئياً وراء شجرة نخيل صغيرة.

ضحكت الشقراء: «أوه يا لهذا المطر!». ثم وقفت على أطراف أصابعها لتمسح شعر وليام المبلل، وسألته بقلق:

www.elromancia.com

- أواثق أنت أنك تريدني معك حين تجد روث.. على أي حال الفكرة فكرتك.

- لكنني لم أكن لأنجح لولا مساعدتك. ثم أنا أريد أن تسمع كل شيء.

- حسناً.. اود أن أرتب نفسي قليلاً قبل أن اواجهها.. شعري مشعث، ومن المهم أن أترك فيها انطباعاً جيداً.

كان وليام في مزاج جيد وكأنه لم يكن منزعجاً من هذا التأخير، بل قال ضاحكاً:

- يا للنساء! حسناً.. هناك غرفة لزينة السيدات في المطعم.. سأنتظرك هنا.

شمّت روث عطر الشقراء وهي تمر بقربها... وتقدم وليام إلى الجهة الأخرى من المدخل ويداه في جيبي سرواله فوقف أمام صورة جدارية وراح يتأملها، وحينما هو مستغرق هكذا، تسللت روث نحو المصاعد فضغطت على الزر ولكن الابواب انفتحت قبل ذلك فدخلت كأنها حيوان صغير جريح.

كان ألمها حاداً بحيث لم تشعر به.. كانت مصدومة وأي صدمة. لم يكن يعمل في كيانها كله إلا جزء صغير صغير من عقلها وقد أخبرها هذا الجزء العامل أن وليام خانها وأن عليها أن تهرب منه، تهرب قبل أن تتاح له وللشقراء أن يخبراها بخططهما.

خطا شبح شاحب إلى خارج المصعد ودخل الجناح وهذا الشبح نفسه دفع ثيابها إلى حقيبتها الصغيرة وكان أن تمت العملية في دقيقة.

لم تكن لتعلم أنهم سيتجاوزون بعضهم في المصاعد.. فبينما كان وليام يفتح باب الشقة للشقراء، كانت روث تدفع الابواب الزجاجية، وتهرع كالعمياء إلى الليل المظلم البارد الرطب.

وقف وليام وسط غرفة الاستقبال وبرود مفاجيء يعتصر قلبه.. ودون أي إنذار، هرع نحو ابواب الشرفة وفتحها فتطايرت الستائر الثقيلة خلفه، وتراجعت الشقراء أمام المطر المتدفق إلى الداخل... تصلب جسده ثم تقدم كالسائر في نومه إلى السياج ومال فوقه.

كان هناك حشد كبير في الشارع وكانت الاضواء الحمراء تصل إليه بتردد مزعج... لكن الشيء الوحيد الذي شاهده بين تلك الفوضى.. جسداً صغيراً أصفر اللون... ممدداً على الطريق..

وكانت صيحته المدوية المتألمة أسوأ من أية عاصفة رعدية...

- روث!...

* * *

١٠ ـ آخر الوعود

أحست روث بالدفء والأمان.. كانت غارقة في عالم خاص، عالم ليس فيه ألم أو ما يسبب لها الألم.

لكن شخصاً ما، كان يحاول جرها خارج قوقعتها الآمنة مواظباً على مناداتها باسمها.. روث... روث.. حتى تساءلت أهذا هو اسمها؟ كانت أحياناً تحس بحافز قوي للاستجابة إلى ذلك الصوت الملح المصر.. لكن شيئاً ما كان يرجعها إلى الخلف... فلو استيقظت، سيعاودها الألم الذي لهذا الصوت صلة وثيقة به.

كان هناك أصوات أخرى، صوت أمها الناعم الحنون، وصوت أخيها هال الأجش، وصوت كارولين الصغير الحائر. كانت تحب هذه الأصوات.. ولكنها تبدو أصواتاً حزينة فتساءلت لماذا؟

فيما كانت تتسلل عائدة إلى دائرة الوعي، راحت هذه الأصوات تأخذ شكلاً فلها عيون وأنوف، وآذان وشعر ويدان تلامسانها بلطف وتمسحان شعرها، أصبح للأصوات شفاه تلامس خدها.. لكن... هناك صوتاً واحداً.. صوت من تخشاه تلامس شفتاه.. ثغرها.

كانت هذه الأصوات أحياناً تجتمع معاً، وكانت روث تصغي متعجبة من الخوف المسيطر على أصواتهم ومن القلق البادي واضحاً فيها. ألا يدرون أبداً كم هي آمنة وسعيدة في قوقعتها الصغيرة؟ ليتها تستطيع أن تقول لهم ألا يحزنوا هكذا.. كانت تحلم أحياناً أنها

كانت تقول لهم ذلك، ومع ذلك ما زالوا جالسين هناك ينتظرون... عجباً... ماذا ينتظرون؟

ولكن، ما هذا الصوت الجديد؟ لقد مضى عليه وقت طويل وهو على هذه الحال. فجأة لم تعد تحس بالسعادة في عالمها الصغير المخبأ.. هناك شيء يمزق رأسها.. ويؤلمها.

الآن، وهي محمولة، ومتأرجحة جيئة وذهاباً.. تراءى لها أنها طفلة، وان والدها يهدهدها في مطبخ منزلهم القديم في المزرعة.. فخف الألم في صدرها، واندست بين الذراعين القويتين.. و... اوه.. عاد عالمها آمناً سالماً.

قال لها صوت متأوه رنته تثير الإشفاق:

ـ روث.. أوه... روث.. يا حلوتي الصغيرة.. روث!

رفعت ببطء ذراعها النحيلة الواهية لتلامس خده البارد الرطب، وقالت متوسلة:

ـ لا تبكِ... أرجوك لا تبكِ!

هزها:

ـ روث.. روث.. هـذا أنـا.. أنـا وليـام!.. استيقظـي.. روث.. استيقظي.. ارجـوك!.. روث.. روث.. هـذا انـا... وليام!

وليام؟ نعم... كانت تعرف يوماً رجلاً اسمه وليام ولكنه آلمها. ارتجفت، ولم تعد تريد أن تتذكر أكثر من هذا. فلو تذكرت لعاودها الألم مرة أخرى، وهي لن تطيق ذلك.

ـ روث.. حبيبتي.. يا حبي الجميل.. أحبك.. أحبك.. اوه روث.. أرجوك.. أرجوك!

ولكنها تعرف أنه يحبها بل تعرف ذلك حتى قبل أن يعرف هو.. إنما كان مذعوراً وجلاً من الاعتراف. الآن تذكرت كل شيء

www.elromancia.com

وأصبحت الرعشة اهتزازاً عنيفاً.. لقد كان خائفاً من حبه لها فاتخذ لنفسه امرأة اخرى... امرأة شقراء، طويلة فتانة، كان يقف معها، خارج المصعد في المدخل، وكانا يضحكان ويتحدثان ويخططان كيف يصعدان إلى الطابق العلوي ليبوحا لها بحبهما.

لامست ابتسامة خفيفة شفتيها الشاحبتين.. لقد كانت أذكى منهما ففرت ولكن الطقس كان بارداً رطباً، مظلماً فهرعت إلى الشارع.. ولكن... حدث شيء ما.. اووه.. نعم.. نعم.. تذكرت. اوه.. الألم، الألم الرهيب.. والأضواء! أضواء حمراء تلمع في عينيها.. ثم الفراغ اللذيذ حيث لا شيء يحس به، لا شيء إطلاقاً..

- روث.. روث.. لن أدعك تعودين إلى هناك، ابقي معي، روث أرجوك، حبيبتي.. ابقي معي، من أجلي ومن اجلهم ابقي هنا.

صاحت: «لا.. لا أريد».

- بل.. تريدين! تريدين روث.. تمسكي بي، تمسكي بي.. هكذا.. هكذا يا فتاتي.. عودي.. عودي اليّ.. روث، عودي.. عودي.. عودي...

عندما فتحت عينيها، كان ذلك أجمل منظر رأته عيناه، فهمس: «روث» ثم احتواها بين ذراعيه.

- أوه.. يا حبي الصغير الجميل.

حدقت إلى الوجه الذي لا يبعد عن وجهها إلا بضع انشات فكادت لا تعرف صاحب اللحية الشاحب الذي تحويها ذراعاه بحنان. لم يكن في هاتين العينين الإغواء ولا على هذا الفم ابتسامة ساخرة.. مدت يدها تلمس ذقنه فأحست برطوبة، فهمست:

- لِمَ كنت تبكي؟ هل فعلت لك شيئاً خاطئاً؟

أطبقت العينان الغارقتان في بركة من دم، وانخفض الرأس ثقيلاً ينشد الراحة قرب رأسها.. فرقدت جامدة بلا حراك وراح جسده ينتفض بالمشاعر وظلت ذراعاها حوله وبقي خدها على خده.. كان هذا الأمان الذي تحس به افضل بكثير من ذاك الذي شعرت به في قوقعتها ثم تذكرت!

* * *

جلست في السرير، تمسح شعرها بلا وعي: كانت تفكر كم طال شعرها في الأسابيع الستة التي قضتها في المستشفى. إن أول ما ستفعله حين تغادر غداً هو البحث عن مزين شعر لتقص شعرها. لقد خسرت الكثير من وزنها حتى بدا وجهها الصغير الضعيف ضائعاً في كثافة الشعر البني الأحمر.. وكانت عيناها الجميلتان بركتين معذبتين عذبهما تحطم القلب.

جلست أمها على كرسي قرب السرير، تراقب ابنتها حزينة، وقالت بهدوء:

- كنت دائماً جميلة روث.. في طفولتك، كنت أنظر إليك وافكر في جمالك الطاغي وفي ما سيسببه لك من متاعب.

وضعت روث فرشاة الشعر من يدها وابتسمت:

- أكنت فعلاً تعتقدين هذا؟

- أجل.. ولكن هذا ما كنت أشعر به في طفولتك.. وما أن كبرت حتى أدركت أنني لست بحاجة للقلق عليك بشأن جمالك بل بشأن عنادك.

أغمضت روث عينيها:

- أمي.. أرجوك.. أعرف ما تقصدين، ولا أريد مناقشة أمره.

www.elromancia.com

لكن أمها أضافت باصرار وحزن:

- لقد تغيرت روث.. كنت تنظرين دائماً إلى وجهي.. ولكنني الآن أنظر إليك.. و...

- أمي.. أرجوك! ليس هناك شيء بيني وبين وليام، ولم يكن هناك قط، كانت اماني من جهتي فقط، وكاد يقتلني! ألا تدركين هذا؟ بسببه هرعت إلى الخارج لأجد نفسي امام السيارة.. وها أنت تجلسين هنا لتقولي إنه لا يعجبك ما ترين.. وما هذا إلا لأنك عمياء عن الوقائع كما كنت عمياء حين أحببته.. عليك عوضاً عن إدانتي أن تكوني ممتنة لأنني أفقت على نفسي قبل أن يفوت الأوان وقبل أن يحصل ضرراً حقيقياً.

مالت الأم إلى الأمام تمسك بيد ابنتها:

- لا يجب أن تلومي وليام على ما أصابك.. لقد أنقذ حياتك.. ولم يكد يتركك طوال أسابيع..

انتزعت منها يدها بحدة:

- لقد سمعت ألف مرة أنه كان محباً رائعاً وأنه أخرجني من غيبوبتي.. والجميع يظنه رائعاً..

- حسناً.. إنه كذلك! وأنت غبية لتنكري ذلك! الرجل يحبك.. يحبك روث!

- إذا كان يحبني فلماذا لم يزرني منذ أسبوعين؟

- تعرفين السبب.. ألا تظنين أن للرجل كرامة مشاعر؟ لقد طردته من الغرفة، وطلبت من طبيبك وممرضاتك ألا يسمحوا له بالاقتراب منك.. فإن كنت ترغبين في رؤية هذا الرجل مرة أخرى روث بارس فما عليك إلا القيام بالخطوة الأولى!

قالت بهدوء:

- لن أفعل هذا أبداً... لم أقل لك ما حدث تلك الليلة أمي..

لقد أخبرتك جزءاً من الحقيقة.

هبَّت الأم عن كرسيها وقعدت على حافة السرير لتضم ابنتها إلى صدرها، وهمست بحنان:

- اخبريني الآن يا طفلتي.. اخبريني.. فلربما انا فهمت ايضاً.

قالت بصوت متهدج:

- أحبه كثيراً.. أظنني وقعت في حبه منذ وقعت عيناي عليه ومع الوقت شعرت به يبادلني مشاعري، أو بالأحرى كنت مقتنعة بهذا. كان هناك دائماً نوع من.. السحر بيننا.. حين سافرنا إلى ولونغون ظننته سيعترف بحبه ولكنه عوضاً عن ذلك تركني دون أن يتصل بي ليشرح سبب غيابه، ثم ظهر في المنزل مع امرأة أخرى.. أنا.. أنا.. كنت.. في المدخل فسمعتهما يتكلمان.. كانا يخططان للبوح لي عن خططهما في المستقبل.

غطت وجهها بيديها منتحبة.

- لن انسى ما أحسست به ما حييت. أحسست أنني أكاد أموت. أحسست بأن كل ما في داخلي يتحطم لذا لا أريد أبداً أن أشعر هذا الشعور.

وتابعت النحيب فعبست أمها بحدة، ثم تناولت المحارم الورقية لتمسح بها وجه روث:

- هل أنت واثقة من صحة ما سمعته؟ كنت متكدرة وربما استنتجت استنتاجاً خاطئاً؟

- لا! لقد عرف أنه يقع في حبي فأصيب بالذعر وقرّر أن يخرجني من حياته.. وكاد يفعل!

هزت الأم رأسها وتنهدت:

- لن تعرفي الحقيقة حتى تسألي. أرجوك روث لأجلكما انتما الاثنان، أعطيه فرصة ليشرح لك ما حدث تلك الليلة.. فلن تسامحي

www.elromancia.com

نفسك أبداً إن لم تفعلي.

- بل لن أسامح نفسي إذا فعلت.. لقد كان عنده الوقت الكافي ليختلق قصة، أية قصة يختارها. لا أفهم امي أنا ابنتك! ويجب أن يكون ولاؤك لي لا له! فهل تريدين أن أصغي إلى المزيد من أكاذيبه!

رفعت الأم حاجبيها:

- أكاذيب؟ وليام توير رجل لا يكذب!

ضحكت روث بانكسار:

- لا أصدق هذا.. ولكن عبثاً أحاول فأنت ما زلت تدافعين عنه، الرجل وغد محتال أمي.. وغد! أتريدين لابنتك أن تتورط مع رجل هكذا؟

- أنت لا تناسبينه!

اتسعت عينا روث ذهولاً: «ماذا؟».

وقفت امها:

- سمعتني.. لقد فقدت روح الإقدام وما عدت قوية كما يجب لرجل مثل وليام توير.. إنه يستحق امرأة شجاعة.. امرأة تقف إلى جانبه في السراء والضراء.. وهو بغنى عن امرأة غارقة في الشفقة على نفسها وفي غرورها.. الرجل بحاجة إلى حب لا إلى سخرية.

لذعتها كلمات أمها، ودخلت إلى أعماق كيانها. فقالت بصوت خفيف مرتجف:

- لا تقلقي بشأن وليام أمي.. فلن ينقصه الحب أبداً.. فهو محبوب من النساء والمشكلة أنه لا يبادل أية واحدة منهن المشاعر.

نظرت إليها امها مفكرة: «هل تساءلت يوماً لماذا»؟.

أحنت روث رأسها:

- حدثني يوماً عن طفولته التي لم تكن سعيدة. فقد أبويه في سن مبكرة، وكان يعيل نفسه منذ كان في الثالثة عشرة..

- أكان يحب والديه؟

هزت روث رأسها: «أجل».

- من المؤسف إذن أنه أضاع حبه الأول بعد حب والديه وثقته بمن يحب عليك أنت.

شهقت: «أمي».

- صحيح... لديك أسباب وجيهة للخوف، وأمامك الكثير لتردي عليه روث بارس.

خرجت روث من المستشفى في اليوم التالي فوقفت على عتبات المستشفى وحدها تحمل حقيبتها الصغيرة في يدها، والريح الباردة تضرب ساقيها وترفع طرف تنورتها. كانت أمها، وهال وكارولين، قد عادوا إلى المزرعة للضرورة، على أن تنضم إليهم روث بعد بضعة أسابيع حين يأذن لها الأطباء، وكان عليها في هذا الوقت، أن تبقى في ولونغون لمتابعة العلاج.

نظرت إلى الورقة المطوية في راحة يدها وهي ورقة تضم عنوان شقة صغيرة وجدتها لها امها قرب المستشفى.. تقدمت إلى موقف التاكسي تنتظر دورها.. كانت بذلتها الخضراء الشاحبة تتدلى على جسدها النحيل ككيس لا شكل له. وكان رأسها محنياً أمام الريح، فلم تشاهد وليام خاصة بسبب الدموع التي حجبت عينيها الخضراوين الحزينتين.

قال لها بحزم، وهو يمسك ذراعها:

- لدي سيارة بانتظارك آنسة.

وقادها نحو سيارة مرسيدس حمراء.

بسبب المفاجأة وبسبب ضعفها لم تجادل، فتح وليام لها الباب وساعدها في الجلوس ثم راحت يداه اللطيفتان تسويان حزام الأمان حولها وبعد ذلك رمى حقيبتها في المقعد الخلفي وجلس إلى جانبها

www.elromancia.com

خلف المقود، فرفعت يدها تعطيه الورقة المطوية، وقالت بصوت ضعيف:

- هذا العنوان الذي سأسكن فيه فترة.. أنا.. لم أقرأ العنوان بعد.

تناول قصاصة الورق ورماها من النافذة:

- أنت الآن بين يدي.

ثم شغل المحرك وصحبها إلى منزله دون أن يضيف كلمة أخرى.

بدا لها كل شيء كالحلم.. عجيب.. المدخل ما زال على حاله وما زالت تلك النخلة المروحية الأغصان التي اختبأت وراءها هناك وما زالت المصاعد في حركة.. في الداخل شاهدت صورة المطعم الذي تناولت العشاء فيه فبدا لها كل شيء وكأنه حدث منذ ألف عام.

فتح وليام باب الجناح، وأمسك ذراعها يقودها إلى الداخل.. لن تبقى هنا إلا بضع دقائق.. صحيح أنه رمى عنوان الشقة بعيداً، لكن من السهل إيجاد مكان آخر قرب المستشفى.

مستقبلها هو ملكها فقط الآن، وستخطط له خطوة خطوة وحين تصبح أقوى ستذهب إلى مكان بعيد، للبدء بحياة جديدة.

قادها إلى مقعد دفعها بلطف لتجلس عليه.. كادت تنسى قدرته الفائقة على أن يكون لطيفاً، ولكن لا حاجة إلى التذكر.. فقلبها الجريح ما زال رقيقاً وجراحه لم تبرأ بعد. كانت تشك في انها ستتغلب على حبه أبداً.. ولكن، إذا كان ما زال عندها أمل في المستقبل، فهو في يدها الآن.. ولذلك لن تسمح له أن يؤثر فيها.. لن تسمح له.

جرّ كرسياً ليجلس قربها، وجلس قبالتها تكاد ركبهما تتلامس.

رفعت عينيها المتعبتين إليه وسحبت نفساً عميقاً فلن تصغي إليه مهما كانت أعذاره.

نظرت إليه، فراعها ما رأت.. كان قد خسر الكثير من وزنه، وبدت عيناه كرتين سوداوين مشتعلتين تحترقان في محجريهما الأجوفين فبكى قلبها عليه ولكنها أسكتته بسرعة.. صحيح أنه عانى.. إنما ليس بمقدار ما عانته والمزعج في الأمر إحساسها بالذنب لما فعله بها.. مد يده إليها ولكنها حركت يديها بعيداً عنه... أيظن، بعد ما فعله بها أن له الحق بلمسها؟ ولكنها رغم ذلك أحست بالألم يخزها فقد رأت ألمه يلمع في عينيه بسبب رفضها له.. قال بصوت محطم:

- أعرف أنك تكرهينني روث...

ردت بسرعة: «لا.. أنا لا أكرهك وليام».

لمع الأمل في عينيه.

- جيد.. هذه على الأقل بداية حسنة.

تصاعدت إلى شفتيها ابتسامة قاسية:

- لم تدعني أنهي كلامي وليام. أنا لا أكرهك لأنني في الواقع لا أحس تجاهك بشيء، فلا أحبك ولا أكرهك.. بل لا وجود لك في حياتي.

تحركت إلى حافة مقعدها تنظر إليه بابتسامة باردة:

- مسرورة أنا بما أقوله فقد تقت إلى ذلك منذ زمن طويل.

بدأت تهم بالوقوف ولكنه دفعها إلى الوراء، يمسك بيديها ليمنع محاولاتها الدؤوب إلى الخلاص. ثم بعد ذلك راح ينظر إلى وجهها ببرود:

- هناك ما أريد «أنا» أن أقوله «لك» منذ وقت طويل! أحبك! ولطالما أحببتك! ولو مت لمت معك.

www.elromancia.com

ضحكت على اعترافه السخيف:

- لا يمكنك أن ترضي ضميرك وتسكته بالاعتراف بحبك لي وليام.. فأنا أعرفك أكثر مما تظن، دعني أذهب أرجوك.. أنت تؤلمني.

تركها، فابتسمت بانتصار:

- شكراً لك.. إنها المرة الأخيرة التي تؤلمني فيها وليام توير.

خرجت صيحة ألم من حنجرته فسحبها من مقعدها ليسحقها فوق صدره.

- لم أكن أرغب أبداً في إيلامك صدقيني فأنا لا أريد إلا أن أحبك وأن اظهر لك مدى حبي.. يجب أن تصدقيني روث..

أبعدها عنه فجأة فارتجفت ولكنه سرعان ما أمسك وجهها الصغير بين يديه وراحت أصابعه تداعب وجنتيها.

- أنت أثمن وأفضل وأروع ما حدث لي في حياتي.. أنا لا استطيع، لا أستطيع أبداً، أن اتركك ترحلين عني.

حاولت روث ان تصلب نفسها.. ولكن الجدار الذي بنته بألم حول قلبها بدأ يتداعى فقالت بصوت جعلته الدموع أجش:

- لقد انتظرت طويلاً لأسمعك تقول هذا وليام.. أردت حبك أكثر من أي شيء في العالم كله.

- لكنك حصلت على حبي روث، حصلت عليه دائماً!

هزت رأسها بحزن:

- صدّقت يوماً أنك قد تحبني.. لكنني ما عدت أصدق. أرجوك لا تشعر بعقدة الذنب بشأن ما حدث... فقد كان ما أصابني بسبب غبائي. كنت متهورة.. أعمتني الدموع بحيث لم أرَ إلى اين أتوجه!

- أخبريني عن تلك الليلة... يجب أن أعرف ما حدث.

نظرت إليه: «لا شك أنك فكرت في ما جرى».

- لا.. مع أنني حاولت! حاولت ألف مرة! لاحقت تحركاتك.. وعرفت أين تعيشين، ولكنني لم أعرف لماذا هرعت إلى الشارع راكضة.

عندما وقفت كان ما يزال ممسكاً بيديها:

- سئمت انتظارك وليام. أتذكر كيف تركتني وحدي ذلك اليوم؟ ظننتك نسيتني، ونسيت وجودي، أخيراً جعت، فنزلت لأتناول الطعام ثم شاهدتك مع شقراء رحت تتحدث معها ضاحكين!

هز رأسه:

- أجل.. كانت تلك ويلما هايس، السيدة ويلما هايس. وهي وزوجها يعملان عندي.. أما طوال ظهر ذاك اليوم فقضيته في مؤتمر برفقتهما. وعندما رأيتنا كنت أهم أن أعرفك إلى ويلما التي كان زوجها سينضم إلينا فيما بعد.

صمت محدقاً فيها بحيرة ثم سأل:

- ألهذا هربتِ؟ ألانك شاهدتني مع ويلما؟

همست وقد بدأت ركبتاها تضعفان:

- أجل.. ظننتك.. أنت وهي...

قفز واضعاً يديه على كتفيها، يسأل بلهجة من لا يصدق:

- أظننت أننا حبيبان؟

- لم أكن أعرف في ما أفكر. أنا.. اوه.. أجل.. لقد ظننت هذا، وماذا غير ذلك أظن؟ كنت غاضباً حين خرجت.. و.. حين لم تعد...

صاح آمراً: «روث انظري إليّ».

رفعت عينيها ببطء إليه، فتابع.

- أتذكرين النادي الاجتماعي الذي أسسناه في المشروع للشبان المراهقين؟ اتذكرين أننا تحدثنا عنه طوال الصباح وأننا تناقشنا بشأن

www.elromancia.com

الصعوبات التي نعانيها مع بعض الشبان؟ أتذكرين هذا روث؟

ـ أذكر.

ـ حسناً.. هذا ما كنت أفعله حين كنت مع ويلما وبيرت.. كنت أتباحث معهما مسألة منح بعض الشبان الصغار منحاً دراسية. أحبك روث ولذلك رغبت في القيام بما هو مميز لأجلك.. أردت أن.. أشرّفك..!

ـ تشرفني؟ كان حبك وحده يكفيني وليام.

ابتسم فجأة تلك الابتسامة القديمة الرائعة التي أحبتها:

ـ لكنك تعرفين ما أنا عليه، تعرفين أنني أحب القيام بالأمور بخطوات كبيرة. اجلسي، أريد أن أريك شيئاً.

جلست روث تراقبه يقطع الغرفة بخطوات عملاقة ففتح درجاً وأخرج وثيقة تبدو مهمة. ثم عاد إليها وقال بصدق وفور:

ـ ظننت أن الفرصة لن تتاح لي لأريك هذه.

نظرت روث إلى الوثيقة بين يديه، وسرعان ما قرأت الكلمات المزخرفة فوقها بخط عريض:

«منحة روث توير الدراسية».

وغشيت الدموع بصرها.. أخيراً فهمت.. أراد أن يعترف لها بحبه ذلك اليوم، ولكن الطريقة الوحيدة التي فكر فيها كانت عبر المنحة.. لقد وضعها في برج عاجي، وجعلها خالدة بتسميته المنحة باسمها.. إنه يحبها أكثر مما حلمت ولكن ما هو أهم من ذلك، هو أنه خطط أن يحبها إلى الأبد.

ضمها بين ذراعيه فخرجت الشهقات متحشرجة من حلقها.. ومضى وقت طويل لم يقدر فيه أي منهما على الكلام.. ثم طفقا يتحادثان.

قال ينظر إليها بحنان ظنت معه أنها ترى قلبه في عينيه:

ـ سأحضر ابريق شاي.

وضعت ذراعها حول عنقه، وقبلته:

ـ لا.. فلأفعل ذلك أنا.. أحبك يا حبيبي حباً جماً يجعلني أشعر بالإثارة ما إن أفكر في القيام بأي شيء لك.

ضحك: «سنحضره معاً إذن».

دخلا المطبخ ليعدا الشاي، فبدوا أشبه بطفلين تركا في غرفة مليئة بحلواهما المفضلة.. تحدثا وضحكا وتبادلا العناق.. ولم يكن للكثير مما قالاه معنى.. ولكن من يهتم لهذا؟ كانا يصغيان إلى نغمات قلبيهما لا إلى الكلمات.

بعدما أفرغا ابريق الشاي، قال لها وليام:

ـ أعتقد أن علينا أن نتزوج.

ردت مازحة:

ـ أجل.. أعتقد هذا.

ـ أيمكن أن نفعل ذلك، اليوم.. أتظنين أن هذا ممكن؟

ضحكت بمرح:

ـ أعتقد هذا ولكنني لا أرغب في ذلك إنصافاً لأمي وأخواي الذين سيسوؤهم أن يفوتهم الزواج.

ـ أنت على حق بالطبع.. لديك عائلة رائعة، وأنا سعيد لأنني سأصبح جزءاً منها...

رفع يديها لاثماً اطراف أناملها الوردية اللون.

ـ أتعلمين.. أنت تشبهين أمك.

ـ أتظن هذا؟ يجب أن أخبرها بذلك وأعتقد أنها ستظهر دهشة خاصة بعدما قالته لي يوم أمس في المستشفى. سأخبرك بما قالته عنك إنما ليس الآن.

ضحك وليام:

www.elromancia.com

- لنؤخر ذلك إلى شهر عسلنا الذي سنعمد فيه إلى الاعتراف بالخفايا.

رقصت عيناها بهجة:

- لا تقل لي إنها وعظتك أيضاً؟

هز رأسه مبتسماً:

- قالت إن كلاً منا قوي الإرادة، عنيد، وإننا نستحق بعضنا بعضاً.

تظاهرت بالسخط:

- تصور أن تقول أم شيئاً كهذا عن ابنتها! عنيدة وقوية الإرادة! حقاً؟

- حسناً.. هذا ما أنت عليه كما تعرفين.

- هه! انظروا من يتكلم؟ أنت من طال بك الوقت حتى تعترف بحبك لي!

- ولكنك مخطئة في هذا! لقد وقعت في حبك منذ قابلتك في مكتبي.. وقد تم ذلك بعد خمس دقائق من رؤيتي لك.. لذلك بقيت أختلق الأعذار لزيارة المشروع.. والسبب الوحيد هو أن أراك.

ذهلت: «ولماذا لم تخبرني؟».

- حاولت، ولكنك كنت تصدين جميع حركاتي حتى ظننتك تكرهينني!

تنهدت.

- إنها سمعتك! كنت عازمة كل العزم على ألا أكون رقماً بين نساء وليام توير.

ابتسم لها:

- والأهم، أنني كنت اعرف انك مؤمنة بأنني أكثر عزاب مدينة سيدني عبثاً.. ولكنني منذ أن وقع نظري عليك فقدت الاهتمام بكل

النساء الأخريات، وأصبحت لك أعجبك ذلك أم لم يعجبك؟

تنهدت بسعادة، تدس جسمها بين ذراعيه:

- أوه وليام. ما أشد أسفي على اضطرارك الانتظار.. حتى اليوم لتعرف أنني أحبك.

برقت عيناه السوداوان بخبث:

- لم أنتظر إلى هذا الحد.. حين كنت في غيبوبة لم يبرح لسانك يخبرني عن مدى حبك لي!

رفعت رأسها متراجعة إلى الوراء:

- لا! لم أخبرك هذا!.. هل فعلت؟.

- فعلتِ وفعلتِ الكثير غيره.

سألت مذعورة:

- أتعني.. أنني.. أنني.. اعترفت لك بأشياء؟

- أجل..! قلت لي انك احببتني منذ أشهر، وإنك إنما كنت لئيمة معي بسبب خوفك من إظهار ولعك بي.

- وليام.. هل تختلق هذا الكلام؟

- هل أفعل شيئاً كهذا؟

- أوه وليام. يا لنا من غبيين... أمي على حق.. كان كلانا عنيداً.

- لا.. بل الأمر أخطر من ذلك. كان كلّ منا يخشى أن يرفضه الآخر.

- الرفض؟ أكنت خائفاً حقاً ألا أحبك؟

- خائفاً؟ بل مذعوراً!.. حين رأيتك ممددة في الشارع توقفت دنياي ولم تعد إلى التحرك حتى فتحت عينيك في المستشفى!

ضغطت خدها على خده، وهمست:

- كنت أعرف أنك هناك.. عرفت دائماً أنك هناك!

www.elromancia.com

ـ وسأبقى دائماً . . وإلى الأبد .

التف ذراعا كل منهما حول الآخر وغرقا في حبهما فنسيا كل شيء ولكنه لم يلبث أن قال ببساطة :

ـ أحبك روث .

وعلقت أنفاسها في حلقها لما شاهدته في عينيه واشتد عناقه لها ، وتحول العناق الى التحام شديد جعلها تتعلق به متحسسة الحب الذي ينبض من كل عظامه وأخيراً راح قلباهما يخفقان خفقة واحدة متصلة .

بعد ستة أسابيع ، أقسم وليام وروث قسم الزواج . . ولم ينكث أي منهما أبداً ، بذرّة منه !

* * *

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة